

الخير الحميم

للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

تأليف

د. خالد بن محمد عطية

الخير العميم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

ح - خالد محمد أحمد عطية ، ١٤٣٦ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

عطية، خالد محمد

الخير العميم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم .

خالد بن محمد عطية . مكة المكرمة ، ١٤٣٦ هـ .

٢٢٥ ص ؛ ٢٤ سم

ردمك : ٩٧٨ . ٦٠٣ . ٠١ . ٦٨٦٣ . ٧

١- القرآن - مباحث عامة . ٣- الوعظ والإرشاد أ - العنوان

ديوي ٢٢٩ / ١٤٣٦ / ٨٤٦

رقم الإيداع : ١٤٣٦ / ٨٤٦

ردمك : ٩٧٨ . ٦٠٣ . ٠١ . ٦٨٦٣ . ٧

الناشر :

دار الطرفين . الطائف . وادي وج .

هاتف : ٧٣٢٩٥٧٢ . فاكس : ٧٤٦٣٦٨٨

ص ب : ٢٥٧٩

جوال : ٠٥٠٥٧٠٤٨٠٨

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

قال تعالى :

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ^ع مَا كُنتَ تَدْرِي مَا أَلَكِتَابُ وَلَا
الْإِيمَنُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ ^ع مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي
إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ ^ط أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الشورى]

وفي الأثر عن علي رضي الله تعالى عنه قال : قال ﷺ :

(ألا إنها ستكون فتنة . فقلت : ما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال :
كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل
ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره
أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط
المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع
منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم
تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ﴿٢﴾ ﴾ .
من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه
هدي إلى صراط مستقيم) [الترمذي والدارمي] .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي جعل النجاة في التمسك بدينه وجعل الرفعة في قبول منهجه وجعل القرآن الكريم هادياً للتي هي أقوم، أنزله على رسول البيان ليكون منهاجاً لكل الزمان من عند ربه الرحيم الرحمن . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له امتن على العباد بشريعة غراء، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله وخيرته من خلقه ﷺ إمام التقى ومنارة الهدى لكل الورى .

ثم أما بعد :

أصل هذا الكتاب رسالة ماجستير نوقشت في جامعة أم القرى كلية الدعوة وأصول الدين قسم الكتاب والسنة شعبة التفسير وعلوم القرآن تحت اسم : (المنهج الوقائي في القرآن الكريم، دراسة تأصيلية) . وقد أجزت بفضل الله تعالى ومنته وتوفيقه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف .

والمعروف عن الدراسات الأكاديمية أن طريقتها تتسم بتناول الموضوع في شقها الأول كدراسة موضوعية، يتبعها الشق الثاني كمحصلة لتلك الدراسة، متبوعة بالنتائج والتوصيات، مما حملني على اختصار البحث وحذف النقولات والحواشي والإحالات وتغيير ترتيبه بما ينسجم كموضوع متكامل مستخلص يقدم للقارئ العزيز .

وعموماً فالقرآن الكريم هو الكتاب السماوي الذي ختمت به الكتب السماوية، كما ختمت بمحمد ﷺ النبوات والرسالات، وعليه كان حتماً ولا بد من أن يحتوي على منهج يضمن خير البشرية جمعاء، ويحقق النفع لكل الزمان، ولكل

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المكان، تكون له القدرة على مسيطرة المتغيرات، ومواكبة المستجدات، ومراعاة مقتضى الحال، تحوي آياته وتتضمن هداياته كل متطلبات الدين والدنيا معاً، بما فيه من أحكام، وحدود، وشرائع، وهدايات، وفضائل، ودعوات، وإرشادات، وتعاليم، وتوجيهات، وبما فيه من معجزات، ولفقات، ونكات، ولطائف، وإشارات، وإيجاءات .

وبوجه عام منهج مقررٌ لكل ما من شأنه نفع البشرية مطلقاً، حين أمر بجملة المنافع والفضائل، وحث عليها وحض، وفي الوقت نفسه حين نهى عن عموم المفساد، والمضار، والرذائل، وحذر منها وخوف، في منهج وقائي عام تام شمل كل ضروريات الناس، وحاجياتهم وتحسينيات حياتهم .

فكان دستوراً وقائياً عاماً بكل معنى الكلمة، وقائيات معنوية تخاطب المعنويات والروحانيات، ووقائيات مادية حسية أيضاً تشمل الجوارح والأعضاء .

وبذلك تحقق وتؤكد مدى نفعية الشرع المطهر الذي ورد في القرآن الكريم وجاء له، وبه، وبمنهجه المتكامل الذي شمل كل نواحي الحياة، وبهذا تكون إقامة شرع الله تعالى على وجه الأرض .

والوقاية فيه ليست جزئية منه وحسب، وإنما منهج عام شائع فيه، وأسلوب أصيل من أصوله التي جاء بها ولها . وقد جاءت على ضربين اثنين :

١- الجانب التأصيلي التشريعي لكل ما يحقق نفع الناس .

٢- الجانب العلاجي متى وقع الناس في الخطأ والخلل .

وبالتالي فكأن المنهج الوقائي هنا هو الدين كله ! بل هو كذلك؛ لأن الدين إنما جاء بالمنهج الحق لإقامة العبودية لله سبحانه وتعالى على الوجه الصحيح، فما خلا تشريع في القرآن الكريم منه أبداً، ودلالات كل أمر، أو نهى، أو توجيه، أو

الخير العميم لمنهج الوقائي في القرآن الكريم

تحذير، أو تخويف، وترهيب، أو تشويق، وترغيب، أو ما سوى ذلك، كل ذلك جاء متضمناً له محققاً إياه .

وأخيراً ! أسأل الله تعالى العزيز الحكيم للجميع الفهم والبيان والمعرفة والإتقان لما يحقق نفعنا ورفعتنا في الدارين . وصلى الله على سيدنا ونبينا وحبينا محمد وسلم وبارك وزاد وأنعم وأتمم وعلى آله وأصحابه واتباعه . اللهم آمين ،،،

مكة المكرمة

في ١٥/١٠/١٤٣٥ هـ

جوال : ٠٥٠٤٧٩٩٥١١

ص ب : ٤٣٨٢

E-kamahaz@hotmail.com

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

تمهيد :

كلمة (المنهج) في اللغة تعني : الطريق الواضح، قال ابن دريد رحمه الله تعالى :
"والنَهج : الطَّرِيقُ الوَاضِحُ، وَالْجَمْعُ نَهْجٌ وَنَهَاجٌ وَهُوَ الْمَنْهَجُ وَالْجَمْعُ مَنَاهِجٌ"^١.
وكذلك عند أهل التفسير وعلوم القرآن الكريم، قال ابن كثير رحمه الله تعالى :
"هو الطريق الواضح السهل، والسنن : الطرائق"^٢.
أما كلمة (وقاية) فتعني : الصيانة، قال الجرجاني رحمه الله تعالى : "وهي عند
أهل الحقيقة : الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته، وهو صيانة النفس عما تستحق به
العقوبة من فعل أو ترك"^٣.
وهي كذلك عند أهل التفسير وعلوم القرآن الكريم ففي الموسوعة القرآنية هي
: "حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره"^٤.
وقال ابن عطية رحمه الله تعالى : "الحائل بين الشيء وما يضره"^٥.
وقال أبو السعود رحمه الله تعالى : "فَرَطُ الصِّيَانَةِ وَالتَّقْوَى فِي عُرْفِ الشَّرْعِ عِبَارَةٌ
عَنْ كَمَالِ التَّقْوَى عَمَّا يَضُرُّهُ فِي الْآخِرَةِ"^٦.
وإجمالاً، هي : البُعد عن كل ما يضر بالإنسان، أو يفوت عليه المصالح .

^١ ابن دريد . جمهرة اللغة . ط ١، دار العلم للملايين . ج ١، ص ٤٩٨ .

^٢ ابن كثير . تفسير القرآن العظيم . ط ١، دار الكتب العلمية . ج ٣، ص ١٢٩ .

^٣ الجرجاني . التعريفات . ص ٦٥ .

^٤ الأبياري . الموسوعة القرآنية . ط ١٤٠٥هـ، مؤسسة سجل العرب . ج ٨، ص ٦٠١ .

^٥ ابن عطية . المحرر الوجيز . ط ١، دار الكتب العلمية . ج ٥، ص ١٨٨ .

^٦ أبو السعود . إرشاد العقل السليم . ط دار إحياء التراث العربي . ج ١، ص ٢٧ .

الخير العميم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

وبهذا يكون التعريف الاصطلاحي المختار، لمصطلح (المنهج الوقائي)، من حيث العموم هو : الطريق الواضح الذي يضمن سلامة الإنسان .

وحال نسبته إلى القرآن الكريم يكون التعريف العام : طريقة القرآن الكريم، التي دعا الإنسان من خلالها لتطبيق مراد الله سبحانه وتعالى منه، لتحقيق له جملة المنافع والمصالح، ويسلم من كافة المفساد والمضار .

وقد رد في القرآن الكريم مجمل^١؛ التشريعات الكاملة التامة؛ لكل ما يحقق للخلق كافة المصالح والمنافع، ويدراً عنهم عموم المفساد والمضار؛ يتضح ذلك من خلال :

١- جملة الأوامر والنواهي التي تضمنت الأحكام والحدود .

٢- جملة الأخلاق التي تضمنت الآداب والفضائل .

وبالاستقراء والتتبع اتضح أن القرآن الكريم قد انتهج لإرساء مفهوم المنهج الوقائي فيه، منهجين اثنين، هما :

الأول : المنهج الوقائي العام :

ورد فيه الحديث عن خلق الإنسان، موجهاً جميع خطابه بصيغ العموم، كما في النداءات المطلقة : (يا أيها الناس . يا بني آدم . يا أيها الذين آمنوا) .

والخطابات التي تحدثت عن الإنسان، أو العبد، أو البشر، أو العالمين، من حيث العموم .

والخطابات التي اطلقت بالأسماء الموصولة : (من . الذي . الذين) وما إلى ذلك . يلاحظ في كل تلك الخطابات أنه لم يرد فيها تخصيص لأي من مجالات

^١ قصدت بالمحمل هنا أي أصول التشريعات الدينية، وما يتفرع عنها من تعاليم وتوجيهات .

الخير العظيم لمنهج الوقائي في القرآن الكريم

الوقاية^١، وإنما تحدث عنها من حيث العموم وبمفهومها العريض الشامل، متضمنة التوجيه اللازم المناسب . تجلّى ذلك فيما يلي :

١- الآيات التي تبين حقيقة هذا الدين، وشرعه المطهر، ومنهج القرآن الكريم في

ذلك كقوله جل في علاه في سورة الإسراء : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ

أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ ﴾ .

وأقوم أي : أفضل منهج، وأعدله، وأوسطه . فمنهج القرآن الكريم هو الأقوم في كل شيء، في العبادات، وفي المعاملات، وفي الأحكام، والحدود، هو الأقوم من حيث التأصيل المنظم لحياة البشر، والأقوم من حيث الهداية والعلاج . هو الأقوم في كل جوانب الحياة المختلفة، الروحية والمعنوية . فلا أقوم، ولا أحكم، ولا أعدل، ولا أحسن منه أبداً . والآية هنا في سياق العموم ووقاية الخلق بمضمونها، من غير ذكر أو تخصيص لأي من مجالاتها على وجه التحديد .

٢- الآيات التي تبين هدايات القرآن الكريم في إظهار مدى نفعية دين الله تعالى

لعموم البشر، كقوله سبحانه في سورة الإسراء : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ

شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ۝٨٢ ﴾ . والشفاء هنا

نوعان : شفاء قلوب، وشفاء أبدان . والشفاء يكون متى حصل الداء ووقع على الإنسان، والرحمة تمنع من وقوعه أصلاً . فكان القرآن الكريم بذلك وقاية وعلاجاً في آنٍ واحد .

^١ وهي حفظ : (العقل والدين والنفس والعرض والمال) . وسيأتي تناولها بالتفصيل في الفصل الثاني .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

- ٣- الآيات التي تحدثت عن الإنسان، وعن حقيقة وجوده في هذه الحياة الدنيا كقوله تعالى في سورة الإنسان : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ٢ ﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ٣ .
- هذه الآيات فيها من التوجيه لعموم جنس الإنسان، وليبيان حاله فيها، وموقفه من قبول المنهج الحق، والتسليم له، أو رفضه والخروج عن مضمونه ومقتضاه .
- ٤- الآيات التي تحذر من الشيطان الرجيم وموقفه من بني آدم عليه السلام، وتوعده بإغوائهم وغاية حرصه على ذلك كقوله تعالى في سورة الأعراف : ﴿ قَالَ فِيمَا أَعْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأَيْتَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ١٧ ﴾ . تبين هذه الآيات مدى عداوته لبني آدم عليه السلام، وطريقته في إغواء الخلق، ووسوسته لهم، وذلك غاية مراده في هذه الدنيا .
- ٥- آيات المواعظ المطلقة والتذكير بها كقوله سبحانه وتعالى في سورة المائدة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ اٰن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ١١ ﴾ . حوت هذه الآية التذكير بنعمة الله تعالى على عباده المؤمنين إذ نجاهم من عدوهم . والآية في سياق التذكير العام لا تخصيص فيها .
- ٦- الآيات التي تحدثت عن التقوى عامة، من غير تحديد مجال من مجالات الوقاية، منها قول الله تعالى في سورة الحج : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

السَّاعَةَ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ . فهذه الآية من أدل آيات الوقاية بمنهجها العام، من غير تخصيص لأي مجال من المجالات كما تبين .

وبهذا اتضح أن القرآن الكريم جاء فيه الحديث عن المنهج الوقائي، بصفة تستحث عقول البشر لقبول ذلك المنهج الحق، والنظر إليه والالتفات إلى مدى نفعيته، منهجاً حياتياً معيشياً كفل لهم كافة الحقوق، قبل أن يكون منهجاً شرعياً .

الثاني : المنهج الوقائي الخاص :

أما المنهج الثاني، فقد جاء الحديث عنه في كثير من الآيات التي تخص حفظ كل مجال من تلك المجالات على حده، بما يحقق له منهجاً متكاملًا في نوعه، وكل ما يختص به، تناولت مضمون المنهج الوقائي في آيات كثيرة، بالتوجيه اللازم المناسب فيما يخص مجال حفظ العقل، وآيات أخرى تناول فيها ما يخص مجال حفظ الدين، وثالثة فيما يخص مجال حفظ النفس، ورابعة فيما يخص مجال حفظ العرض، وخامسة فيما يخص مجال حفظ المال . قال الشعراوي رحمه الله تعالى : "إن هدف الدين في المقام الأول سلامة الضرورات الخمس التي لا يستغني عنها الإنسان : سلامة النفس، وسلامة العرض، وسلامة المال، وسلامة العقل، وسلامة الدين . وكل التشريعات تدور حول سلامة هذه الضرورات الخمس، ولو نظرت إلى هذه الضرورات تجد أن الحفاظ عليها يبدأ من سلامة العقل، فسلامة العقل تجعله يفكر في دينه . وسلامة العقل تجعله يفكر في حركة الحياة . وسلامة العقل تجعله يحتاط لصيانة العرض"^١ .

^١ الشعراوي . تفسير . ج ٢، ص ٩٤١ .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

وبهذا أتت كل آيات القرآن الكريم على كل مجال من مجالات الوقاية، بما يرسى له المنهج الوقائي الحق الخاص به، تحقيقاً لواقعية المنهج القرآني في بيان تكامله في جميع مجالاته، وسيظهر كيف أن القرآن الكريم حقق منهجاً وقائياً متكاملًا، كل مجال على حدة، بمجموع آيات ذلك المجال يستخلص المنهج الوقائي العام منه . وسيكون الحديث عن هذا النوع بشيء من التفصيل، خلال ذلك تضمن حديث القرآن الكريم أساليب متباينة ومتعددة، وبألفاظ، وصيغ، وسياقات، مختلفة، ليرز مقاصده، ومراداته، بكل وضوح، كما سيظهر ذلك معنا إن شاء الله سبحانه وتعالى .

وعموماً فقد تبوأ المنهج الوقائي من القرآن الكريم حيزاً كبيراً جداً من آياته؛ لأن كل خطابات القرآن الكريم بكافة أساليبه، وقصصه، وأمثاله، ومواعظه، وترغيبه، وترهيبه، وتحذيره، وحثه، ونظمه، وإعجازه، وألفاظه، وتراكيبه، جاءت لترسي ذلك المفهوم بوجه عام، فبه ومن خلاله يتحقق تطبيق شرع الله تعالى وإقامته، بامتنال أمره واجتناب نهيهِ، كما دعا المنهج الوقائي في القرآن الكريم للاهتمام بكل ما يحفظ جانب المعنويات، الروحية النفسية، والرغبات الشخصية . ودعا أيضاً للاهتمام بكل ما يحفظ جانب الماديات والاحتياجات الجسدية، من عموم أعمال الجوارح، والحواس، والأعضاء .

وبالتالي فالغايات السامية، والمقاصد الجليلة، أبرزت للتشريع الإسلامي، المتمثل بالدرجة الأولى في كتاب الله تعالى العزيز، هذه المكانة الكبرى، والأهمية القصوى . لذا فقد قام هذا المنهج الوقائي القرآني من حيث الجملة على أساسين اثنين، كما أنه حوى خصائص جليلة، أظهرت عظم نفعية هذا الشرع المطهر، ومدى غاياته السامية . سأتناول كلاً من تلك الأسس، والخصائص، في ثلاثة مباحث :

الخير العميم لمنهج الوقائي في القرآن الكريم

الفصل الأول : أساسا المنهج الوقائي في القرآن الكريم وخصائصه وأهميته :

وفيه ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : أساسا المنهج الوقائي .
- المبحث الثاني : خصائص المنهج الوقائي .
- المبحث الثالث : أهمية المنهج الوقائي .

الخير العظيم لمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المبحث الأول

أساس المنهج الوقائي في القرآن الكريم

الخير العميم لمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المبحث الأول : أساسا المنهج الوقائي :

تضمن المنهج الوقائي في القرآن الكريم في كل خطابه أساسين اثنين، اشتملا على خصائص كثيرة ومتعددة، كل أساس منهما اهتم بجانب مهم جداً، جاء ليحققه على الوجه المطلوب، أرسى به ومن خلاله مرادات المنهج الوقائي القرآني، من حيث العموم :

الأساس الأول . كونه منهجاً وقائياً جامعاً، أي أنه حوى جملة المصالح والمنافع، التي تحقق للخلق كل خير، وبر، وحق، ونور، وهدى، ورشاد، فأمر سبحانه عباده أن يستمسكوا بذلك المنهج الحق، ليتحقق لهم إدراك جملة تلك المنافع والمصالح .

إذ المقصد الأول من مقاصد الشريعة الإسلامية، أن كل تعاليمها جاءت جامعة، للخير، والحق، والبر، أمره به، محققة بذلك عموم المنافع والمصالح الدينية والدينية سواء .

والمنهج الجامع يعني أنه يغني الخلق عما سواه، فلا منهج أفضل منه ولا مسلك خير منه، قال تعالى في محكم التنزيل من سورة الإسراء : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ ﴿٩﴾ . وأقوم تعني :

قال الشريبي رحمه الله تعالى في تفسيره : "الجامع لكل حق والفارق بين كل ملتبس {يهدى للتي} أي إلى الطريق التي {هي أقوم} أي : أصوب من كل طريق"^١ .

^١ الشريبي . السراج المنير . ج ٢، ص ٢٨٥ .

الخير العظيم لمنهج الوقائي في القرآن الكريم

وقال المراغي رحمه الله تعالى في تفسيره : "إنه يرشد من اهتدى به للسبيل التي هي أقوم السبل، وهي ذلك الدين القيم والملة الحنيفية السمحاء"^١.

وقال السعدي رحمه الله تعالى : "أقوم أي : أعدل وأعلى من العقائد والأعمال والأخلاق، فمن اهتدى بما يدعو إليه القرآن كان أكمل الناس وأقومهم وأهداهم في جميع أموره"^٢.

منهج القرآن الكريم الوقائي، منهج جامع؛ لأنه من عند العليم الخبير، الذي خلق الخلق، وهو بهم أعلم، وبما ينفعهم ويضرهم أدرى، ولشؤونهم أحكم، ولأمورهم أصلح ولا ريب .

وفي تفسير قوله تعالى من سورة البقرة : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾ (١٢٨) . قال صاحب المنار رحمه الله تعالى : "أي لا أحسن من صبغته فهي جماع الخير الذي يؤلف بين الشعوب والقبائل، ويزكي النفوس ويطهر العقول القلوب"^٣.

وفي تفسير قوله تعالى من سورة البقرة : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا

^١ المراغي . تفسير . ج ١٥ ، ص ١٧ .

^٢ السعدي . تيسير الكريم الرحمن . ص ٤٥٤ .

^٣ محمد رشيد رضا . المنار . ج ١ ، ص ٣٩٩ .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

عَاهِدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ . قال ابن عاشور رحمه الله تعالى : "فإن ذلك كله من أهم مقاصد الشريعة وفيه جماع صلاح النفس والجماعة"^١.

وفي تفسير قوله تعالى من سورة الأنعام : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ . قال القاسمي رحمه الله تعالى : "كثير المنافع والفوائد، لاشتماله على منافع الدارين، وعلوم الأولين والآخريين، وما لا يتناهى من الفوائد"^٢.

وفي تفسير قوله تعالى من سورة الحج : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَسُجِدُوا وَعِبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ . قال أبو بكر الجزائري : " {واعبدوا الله} أي أطيعوه فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه معظمين له غاية التعظيم خاشعين له غاية الخشوع {وافعلوا الخير} من كل ما انتدبكم الله إليه ورغبكم فيه من أنواع البر وضروب العبادات {لعلكم تفلحون} أي لتأهلوا بذلك للفلاح الذي هو الفوز بالجنة بعد النجاة من النار"^٣.

وفي تفسير قوله تعالى من سورة الجن : ﴿ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ﴿٢﴾ ﴾ . قال السعدي رحمه الله تعالى : "والرشد : اسم جامع لكل ما يرشد الناس إلى مصالح دينهم ودنياهم"^٤.

^١ ابن عاشور . التحرير والتنوير . ج ٢ ، ص ١٢٨ .

^٢ القاسمي . محاسن التأويل . ط ١ ، دار الكتب العلمية . ج ٤ ، ص ٤٢٩ .

^٣ أبو بكر الجزائري . أيسر التفاسير . ج ٣ ، ص ٥٠١ .

^٤ السعدي . تيسير الكريم الرحمن . ص ٨٩٠ .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

وآيات كثيرة غيرها، جاءت لترسي هذا المعنى والمضمون، حول موضوع
جامعية الشريعة الإسلامية، واحتوائها على كليات المصالح والمنافع .
وفي الحديث النبوي الشريف الذي رواه عمر رضي الله تعالى عنه بقوله :
(بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض
الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى
جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال:
يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ : الإسلام أن تشهد أن لا
إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم
رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، قال : صدقت، قال : فعجبنا
له يسأله، ويصدقه، قال : فأخبرني عن الإيمان، قال : أن تؤمن بالله،
وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال :
صدقت، قال : فأخبرني عن الإحسان، قال : أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم
تكن تراه فإنه يراك، قال : فأخبرني عن الساعة، قال : ما المسئول عنها
بأعلم من السائل، قال : فأخبرني عن أمارتها، قال : أن تلد الأمة ربتها، وأن
ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان، قال: ثم انطلق
فلبثت ملياً، ثم قال لي : يا عمر أتدري من السائل؟ قلت : الله ورسوله أعلم،
قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)^١. حديث عظيم النفع بين حقيقة
الإسلام والإيمان والإحسان فحوى بذلك جماع أمر المسلم، فيما يعرف بمراتب
الدين الثلاثة، التي جاءت على كل متعلق من متعلقات الدين، وما يرتبط بها،

^١ رواه مسلم، (٨) . والعالة، جمع عائل، وهم الفقراء .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

فتضمنت العقائد والأحكام والحدود والعبادات والمعاملات والآداب والفضائل وما إلى ذلك .

والخلاصة : فقد اتضح أن القرآن الكريم قد جاء بمنهج جامع بكل معنى الكلمة، جمع الله تعالى فيه لعباده عموم المصالح والمنافع، الدينية والدنيوية سواء . وتحقق ذلك يعني : غاية نفعية هذا التشريع الإسلامي السامي .

الأساس الثاني . كونه منهجاً وقائياً مانعاً، منع الله تعالى به عن الخلق عموم المفسد والمضار، والرذائل والقبائح، حين نهي سبحانه عباده عن اقترافها، أو الاقتراب منها، فتحقق بذلك النهي؛ درء جملة المفسد والمضار، قال تعالى في سورة المائدة : ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ . قال الشريبي رحمه الله تعالى في تفسيره : " حكم عام في نفي المساواة عند الله تعالى بين الرديء من الأشخاص والأعمال والأموال وجيدها رغب به في صالح العمل وحلال المال"¹.

إذن فالمقصد الثاني من مقاصد الشريعة الإسلامية، هو أن كل تعاليمها جاءت مانعة عن الخلق كل مضرة، ومفسدة، تفسد عليهم حياتهم الدنيوية العاجلة، وحياتهم الآخروية الآجلة .

ولهذا جاء القرآن الكريم محذراً في آيات كثيرة، من عاقبة الانحراف عن مراد الله تعالى، وعن منهجه الحق الذي وضع لعباده . قال تعالى في محكم كتابه العزيز من سورة الأنعام : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ

¹ الشريبي . السراج المنير . ج ١، ص ٣٩٩ .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

يَكُمَّ عَنْ سَبِيلِهِ ذَالِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ . قال المراغي رحمه الله تعالى في تفسيرها : " وإن هذا القرآن الذي أدعوكم إليه وأدعوكم به إلى ما يحييكم، هو صراطي ومنهاجي الذي أسلكه إلى مرضاة الله ونيل سعادة الدنيا والآخرة، حال كونه مستقيماً لا يضل سالكه، ولا يهتدى تاركه، فاتبعوه وحده، ولا تتبعوا السبل الأخرى التي تخالفه وهي كثيرة، فتتفرق بكم عن سبيله، بحيث يذهب كل منهم في سبيل ضلالة ينتهي بها إلى الهلكة، إذ ليس بعد الحق إلا الضلال . والخلاصة- إن هذا صراطي مستقيماً لا عوج فيه، فعليكم أن تتبعوه إن كنتم تؤثرون الاستقامة على الاعوجاج وترجعون الهدى على الضلال" ^١.

وفي تفسير قوله تعالى من سورة الأعراف : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ . قال السعدي رحمه الله تعالى في تفسيره لهذه الآية : " بينا فيه جميع المطالب التي يحتاج إليها الخلق {عَلَىٰ عِلْمٍ} من الله بأحوال العباد في كل زمان ومكان، وما يصلح لهم وما لا يصلح، ليس تفصيله تفصيل غير عالم بالأمور، فتجهله بعض الأحوال، فيحكم حكماً غير مناسب، بل تفصيل من أحاط علمه بكل شيء، ووسعت رحمته كل شيء" ^٢.

وفي تفسير قوله تعالى من سورة هود : ﴿ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمِمَّا كُنتُمْ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ . قال صاحب المنار رحمه الله تعالى : " هذا السياق تفصيل للأوامر والنواهي التي هي ثمرة الاعتبار بما كان من سيرة الأمم مع الرسل : من جحدوا فأهلكوا . ومن آمنوا

^١ المراغي . تفسير . ج ٨، ص ٧٣ .

^٢ السعدي . تيسير الكريم الرحمن . ص ٢٩١ .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

ثم اختلفوا وتفرقوا، فمن جمع بين هذا الأمر والنهي كمل إيمانه، وما بعدهما تفصيل لهما^١.

وفي تفسير قوله تعالى من سورة الحشر: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١٩). قال أبو السعود رحمه الله تعالى: "أي نسوا حقوقه تعالى وما قدره حق قدره ولم يراعوا مواجب أوامره ونواهيه حق رعايتها {فأنسأهم} بسبب ذلك {أنفسهم} أي جعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها أو أراهم يوم القيامة من الأهوال ما أنسأهم أنفسهم"^٢.

والفسق: الخروج عن المنهج الحق، وهذا يعني الوقوع في كل مكروه، ومهلك، والله مطلع على كل شيء، من كل إنسان، قال تعالى من سورة البقرة: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (٣٥). قال ابن القيم رحمه الله تعالى في تفسيره: (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه أن تتعدوا ما حدّ لكم، فإنه مطلع على ما تسرون وما تعلنون، واعلموا أن الله غفور حلیم ولولا مغفرته وحلمه لعنتم غاية العنت، فإنه مطلع عليكم، يعلم ما في قلوبكم، وما تعملون، فإن وقعتم في شيء فما نهاكم عنه فبادروا إليه بالتوبة والاستغفار فإنه هو غفور حلیم)^٣.

^١ محمد رشيد رضا . المنار . ج ١٢، ص ١٣٦ .

^٢ أبو السعود . إرشاد العقل السليم . ج ٨، ص ٢٣٢ .

^٣ ابن القيم . التفسير القيم . ط ١، دار ومكتبة هلال . ص ١٥٠ .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

والمنهج المانع يمنع من الوقوع في الشر، والفساد، والباطل، والمنكر، والظلام، والضلال، والسوء، والمكروه، يمنع من الوقوع في الجريمة، والخطأ، وكل أسباب الهلاك، والردى، به ومن خلاله وضع الدين الحق سياجاً عن كل ذلك، وبالتالي ضمن السلامة للجميع .

أما متى حصل المكروه؛ فالمنهج الوقائي المانع، قد شرّع كل تشريع يزجر به الخلق عن ارتكاب الخطأ مهما كان؛ بحسبه، دون تهاون، أو تفريط في ذلك، وإلا لتجرأ العباد على تجاوز الحدود وارتكاب المعاصي .

لذا وجد أن المنهج الوقائي القرآني في أساسه المانع، قد اعتمد أربع خطوات، في تحقيق مانعيته . هي :

أولاً- شرّع كل ما من شأنه حماية الإنسان من عموم الشرور والمنكرات .

ثانياً- بيّن مدى صيانة ذلك التشريع لعموم الخلق، وضمان غاية نفعيتهم .

ثالثاً- جرم كل من وقع في منكر، أو شر، وبيّن أن هذا الفعل يعتبر جرمًا يعاقب عليه كل من ارتكبه ووقع فيه .

رابعاً- عاقب كل من حصل منه ذلك الجرم ووقع تحت طائلة عقوبته .

كل تلك الخطوات اعتمدها، ليخوف، ويردع، ويزجر، عن الوقوع في الذنوب، والمعاصي، والآثام، بأنواعها .

وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده،

فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)^١.

فمفاد هذا الحديث هو وجوب التعاون فيما بين المسلمين للقضاء على كل منكر،

^١ رواه مسلم، (٤٩) .

الخير العميم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

وهذا في حد ذاته مانع للشر بكل أوجهه، وقطع للرديلة بجميع أساليبها، وتخفيف لمنابع الجريمة بكافة صورها .

والخلاصة هي أن المنهج الوقائي بأساسه المانع؛ تحقق به الحفاظ من كل موبق، وضمان السلامة من كل مهلك، حين أرسى كل ما من شأنه حفظ الضرورات، مبتعداً بذلك عن كل جرم، وحرام، وفسق، وخروج، ومنكر، ونشوز، يمكن أن ينشأ جراء المخالفة له، ولمضمونه الذي جاء به .

الخير العظيم لمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المبحث الثاني

خصائص المنهج الوقائي في القرآن الكريم

الخير العليم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المبحث الثاني : خصائص المنهج الوقائي :

للمنهج الوقائي خصائص ذاتية كثيرة ومتعددة، كل خصيصة منها تبرز جانباً مضيئاً من جوانب محاسنه، وغايات مقاصده، أظهرت حقيقة المقاصد العليا، والغايات السامية، التي تضمنها وجاء بها ولها .

وفي ذلك دليل على غاية تمامه ومنتهى كماله ومدى نفعيته لعموم الخلق، في الدارين سواء، ودليل على مدى استيعابه وشموله لعموم الخلق، فكان منهجاً حقاً لا يتطرقة الفوت ولا يعتريه النقص، لم يغفل عن شيء أبداً، ذلك هو المنهج الرباني الإلهي الحق . وهذا في حد ذاته علامة على أنه من عند العليم الخبير، الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، ومنهج فأوعى، وشرع فحوى . تلك الخصائص هي أنه :

١- منهج عليم^١، في دقائقه : بخفايا النفوس، ومكنون القلوب، وتطلعات العقول، محققاً كل ما من شأنه تلبية الرغبات النفسية، والقدرات العقلية، على الوجه الصحيح المتوازن، محافظاً عليها ضامناً لسلامتها . قال تعالى في سورة الملك :

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (١٤)

وتتجلى خصيصة العلم الرباني في المنهج الوقائي القرآني، حين يلاحظ أن كافة تعاليمه استغرقت كافة شؤون الحياة، ومراحل الإنسان فيها، فلم يغفل عن شيء منها، فكانت تلك التشريعات والتعاليم دقيقة تماماً، لدرجة موافقة كل ما عند الإنسان من رغبات، واحتياجات عمرية، وبالتالي فلا يمكن بحال أن يوجد فيها شيء من قصور أبداً، وقد ثبت مدى نفعيتها لعموم الخلق دون أدنى شك .

^١ النسبة هنا مجازية، لأن العلم صفة ذاتية فتكون نسبتة لصاحبه في الحقيقة، وبالتالي فالمقصد : منهج رباني عليم .

الخير العليم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

فالشارع العليم مثلاً حين شرع الزكاة؛ والتي تعد مجالاً وقائياً عاماً للمسلمين كافة، حين يرتبطون برباط التكافل الاجتماعي فيما بينهم، راعى الشارع العليم الفروق بين الأموال، ومقاديرها بحسب أنواعها، وراعى أحوال المحتاجين من أبناء المجتمع المستحقين للزكاة على الوجه الصحيح، وراعى بلوغ الأنصبة، وتمام الحول في رؤوس الأموال . وكل ذلك عن علم وإحاطة تامة بدقائق الأمور، لتحقيق الغايات السامية، من مقاصد التشريع، ولا يكون ذلك إلا في تشريع رباني محيط عليم .

٢- منهج رحيم في وضعه : والرأفة بالخلق، مراعيًا مقتضى أحوالهم، لا مشقة فيه، ولا تكلف، ولا عسر، ولا عنت . فجمع بذلك الخلق على خير مبادئ وقيم، حققت لهم الحياة مطمئنة الآمنة، في ظل تعديلات سهلة، وأحكام نافعة، ميسرة، وعلاقات آصرة، يأخذ بعضهم بيد بعض إخوة متحابين فيه سبحانه . قال تعالى

في سورة البقرة : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (١٨٥) .

وتتجلى خصيصة الرحمة في المنهج الوقائي القرآني، حين نرى أن كل تشريعاته قد اتسمت بغاية السهولة، واليسر، والرحمة، والرأفة بالعباد، فقبل سبحانه وتعالى من خلقه عبادتهم، على قدر ضعفهم، وبحسب طاقتهم وعجزهم، ومدى استطاعتهم، من غير مشقة أو حرج، لا على قدر عظمتهم، ومدى استحقاقتهم جل في علاه . فالشارع الرحيم مثلاً حين شرع الصلاة المفروضة، والتي تعد أكبر مجال وقائي للمسلم، بدنياً ومعنوياً ينعم في ظلها، أحاطها بجملة من الأحكام، التي تجعل العبد يؤديها بحسب استطاعته، حال ضعفه أو حال مرضه، أو حال سفره، فلم يجعلها حالة واحدة تقع عليه، وإنما رتب الفعل على قدر الاستطاعة، وكذلك سائر الأعمال من عبادات ومعاملات . وكل ذلك رحمة لهم وشفقة بهم ورفعاً للمشقة، ودفعاً للحرج . ذلك هو التشريع الرباني الرحيم بكل معاني الكلمة .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

٣- منهج حكيم في تشريعاته : وفي وضع الشيء في محله، حوت كل تعاليمه وتشريعاته، عموم المصالح والمنافع، ودرأت عموم المفسد والمضار . وراعى أحوال العباد ومتطلباتهم، فلم يكلفهم بما هو شاق، ولا مرهق، ولا ما هو فوق طاقتهم، وليس في وسعهم . قال تعالى في سورة البقرة : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ .

وتجلى هذه الخصيصة حين نقف على الحكمة التشريعية لكافة تعبدياته ومعاملاته، وحين يلاحظ فيها غاية المقاصد السامية الرفيعة، بما يحقق النفع، ويدفع الضرر . فالشارع الحكيم حين شرع الصوم المفروض مثلاً، والذي يعد أكبر مدرسة وقائية للمسلم، راعى حقيقة تكوين الإنسان وتركيبته، المكونة من روح وجسد، فاهتم بمصلحة البدن المادي بما يحققه الصوم من صحة جسدية له، واهتم بمسألة الروح المعنوية بما يحققه الصوم من سمو أخلاقي لها . وهذا لا تجده بحال، إلا في ظل تشريع عمومي حكيم، لا يغلب مصلحة شيء على شيء؛ لأنه يعرف كيف يشرع، ولم يشرع، ومتى يشرع، وبأي شيء يشرع ؟

٤- منهج قويم في سلوكياته : وافق كل مراحل الإنسان العمرية، والمرحلية، بما يناسب وضعه، وسنّه، حال ضعفه، وحال قوته، ذكراً كان أم أنثى، وبما يحقق له كل مصلحة، ويدراً عنه كل مفسدة، لا عنف فيه ولا تصلب ولا قسوة ولا تحجر، راعى المصلحة في مظانها؛ وفي كل وقت وحين، بحسبها لا يفوته الفتوت . قال

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

تعالى في سورة الروم : ﴿ فَأَقْرَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ﴾ (٤٣) . دين قيم بمنهج قوم وشرع مطهر .

وتتجلى هذه الخصيصة حين يلامس في كل تشريعاته الشمولية والاستغراق، لكل ما حواه من تعاليم، وحين يتأكد تحقق الثمرات اليانعات، والآثار الطيبات، في سلوكيات أتباعه . وبالتالي فهو قيم لكل ما من شأنه البلوغ بالعباد إلى حيث منازل الرضا . فالشارع القويم مثلاً حين أمر بحسن الخلق، والتي يعد مجالاً وقائياً لعموم الأمة المسلمة، أقام سلوك الخلق على أساس إشاعة الفضيلة، ونبد الرذيلة، ليعم التعامل الراقي الرفيع فيما بين المجتمعات، فينعمون في ظل علاقات مثمرة، ذات آثار طيبة . وهذا لا يكون إلا في ظل تطبيق تشريعات وقائية حقيقية آتت أكلها، وجنى الجميع ثمراتها، فرضوا بها سلوكاً اجتماعياً حضارياً، يضبط علاقتهم فيما بينهم .

٥- منهج متوازن في تنظيمه : قائم على الاعتدال، والعدالة، والمساواة، وتحقيق النفع للجميع بذات الدرجة، لا ميل فيه، ولا مين، ولا جنوح، ولا انحراف . فجمع بذلك بين القيم المادية والمعنوية للإنسان، وحقق قيم العدالة، والمحبة، والإخاء، والمساواة، بكافة صورها فيما بين عموم البشر . قال تعالى في سورة الشورى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ﴾ (١٧) . والتوازن البشري على وجه الأرض لا يكون إلا على مراد ربنا تبارك وتعالى وبمنهجه الحق .

وتتجلى هذه الخصيصة حين يلاحظ أن كل تشريعاته ذات طابع معتدل، بما يضمن للعباد كل خير، ويكف عنهم كل شر، لا تطرف فيه أبداً، لا غلو ولا تعقيد، ولا ضرر ولا إضرار، ولا إفراط ولا تفريط . وإنما اعتدال، وقصد، ووسطية، في جميع تعاليمه . فالشارع الأعلى تبارك وتعالى من حيث البدء أقام كل تشريعاته

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

على أساس التوازن، والوسطية، والاعتدال، في كل تعاليمه، وأوامره ونواهيه والتي ضمن بها تحقق الوقاية لكافة البشر، وسلامتهم وحمايتهم من طرق الضلال، ودروب المهالك، وسبل الردى . تشريعات دقيقة متوازنة، في غاية الدقة، لا يمكن أن ينتج عنها إلا كل خير وبر وصلاح وفلاح مؤكد لكافة البشر مسلمين وغير مسلمين .

٦- منهج تعليمي تربوي في هداياته : من لدن حكيم خبير، حين علم عباده ودلهم على كل خير، وحين اختار لهم أفضل منهج حق، ربّي سبحانه خلقه عليه . فجمع لهم بذلك كل خير، وبر، ونور، وهدى، وصلاح، ورشاد . قال تعالى في سورة البقرة : ﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ . لأنه كلام ربنا جل في علاه الذي نزل بمراده سبحانه هادياً الخلق لما يجب عز وجل ولما يريد تعالى .

وتتجلى هذه الخصيصة حين علم ربنا تبارك وتعالى خلقه كل شيء من أمور دينهم ودنياهم، ولم يتركهم هملاً يتخبطون فيها، علمهم كل ما من شأنه صلاح أمورهم . والشارع الأعلى سبحانه حين جاء بكل هذه التشريعات، التي حققت الوقاية في عموم المجالات لكافة الخلق، تولى تعليمهم وتربيتهم سبحانه بنفسه، بما جاء على لسان نبيه الكريم ﷺ ولم يجعل ذلك متروكاً لعقولهم المتباينة، لتعصف بهم ولتهلكهم في عالم الاختلافات، غير منتهي أبداً . وكفى به عز وجل معلماً ومربياً وهادياً ودليلاً وحسيباً خلقه سبحانه .

٧- منهج اجتماعي في دعوته : دعا لتكوين العلاقات المثمرة، فيما بين البشر على الوجه الصحيح، على مستوى الأفراد، والمجتمعات أيضاً . فجمع بذلك بين أفراد الأمة الواحدة، وربط بعضهم ببعض على أساس الدين، فلا تمايز إلا به، ولا

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

تفاضل إلا بمدى التمسك بمنهجه . قال تعالى في سورة الحجرات : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ (١٣) . دين يجمع على مراد ربنا سبحانه فيحقق الأخوة فيه جل جلاله .

وتتجلى هذه الخصيصة حين جاءت كل تشريعاته آمرة بكل ما يحقق التواصل البشري، وينمي العلاقات فيما بين الأمم والشعوب، على أساس نشر قيم العدالة الاجتماعية، بكافة صورها من محبة، وإخاء، ومساواة، وتكاتف، وتعاطف . والشارع الأعلى جل جلاله جعل جميع التشريعات الربانية، تحقق فيما بين كافة البشر صلات حقيقية، وروابط دينية، وعلاقات دنيوية، تحقق مفهوم التعايش السلمي بمفهومه الصحيح، ولا يكون ذلك إلا بالإسلام دين السلام .

٨- منهج واقعي منصف في حقيقته : مادي ومعنوي في تكامله، لا خيال فيه، ولا جنوح، ولا شطح، ولا خروج، جاء بكل ما يحقق المصلحة والمنفعة بالفعل، مراعيًا الرغبات والاحتياجات، بلا حرج ولا صلف . قال تعالى في سورة الحج : ﴿ وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (٧٨) . دين يهذب سلوكيات النفس وانفعالاتها، بحسب ما شرع لها رها وخالفها العظيم سبحانه، حتى لا تضر بذاتها، أو تضر بالآخرين، في حمأة الانطلاقات العارمة، والحريات المفرطة، والتصرفات الهوجاء .

وتتجلى هذه الخصيصة في أن كل تشريعات المنهج الوقائي جاءت مسايرة لواقع الحياة، ضامنة توفير احتياج البشر، بحسب الزمان، والمكان، والمرحلة، والحال، فكانت كافة التشريعات منصفة للإنسان تماماً، وموافقة لواقع حياته، ولهدفه منها وفيها، وليست مجرد مثاليات عاجية بعيدة المنال، مشغلة للفكر والبال، وحسب .

الخير العليم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

فالشارع الأعلى جل في علاه حين ضمّن كل تشريعاته ما حقق به الوقاية الحقيقية للخلق كافة، راعى حقيقة تكوينهم البشري . فربط بين أمرين اثنين، ومزجهما سواء، ربط بين مسألة مدى احتياجاتهم، ومسألة أن تشريعاته جاءت على وفق ما يحقق نفعهم بالضبط، في نظرة واقعية منصفة متكاملة لا يتخللها أدنى نقص؛ لأنها تشريعات العليم الخبير .

٩- منهج ذو صيانة في أهدافه : جاء ليحمي الإنسان من شرور نفسه، قبل أن يحميه من أي ذي شر، فصان بذلك روحه وجسده، حين وفر له كل ما ينفعه، ومنع عنه كل ما يضره، وحين شرع جملة من الحدود، ليحفظ بها حركة المعيشة، في ظل محيط واضح المعالم، يحدد المهمات، ويضبط التصرفات . قال تعالى في سورة

البقرة : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ

لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ . دين كالسياج للفرد؛ يحميه ويحمي منه، والسياج للمجتمع أيضاً حين حفظ كافة الحقوق وإقامة الحدود فيما بين الأفراد .

وتجلى هذه الخصيصة حين تحقق في كل تشريعاته وأهدافه الصيانة الحقيقية لعالم البشر، والصقل الدقيق لكافة تصرفاتهم فيها، لضمان أفضل حياة معيشية ممكنة في الدنيا، ولضمان بلوغ جنات النعيم في الآخرة .

والشارع الأعلى جل جلاله ما جاء بهذه التشريعات من حيث الأصل إلا ليحقق نفع جميع البشر على الوجه الصحيح الأكيد، وليضمن سلامة كافة الخلق، ووقايتهم، في ظل شرع رباني صيّن، تام، لا صيانة حقيقية للبشر ولا حماية إلا به، وبتعاليمه السمحة .

١٠- منهج فطري في أساسه : جاء بكل ما وافق الفطرة السليمة بالضبط، منسجماً مع ما بداخل الإنسان، من قيم، ومعنويات، ومتوافقاً لما في نفسه من

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

أصول، ومعتقدات، قال جل ربنا في علاه في سورة الروم : ﴿ فَطَرَتِ اللَّهُ أَلَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ (٣٠) .

وتتجلى هذه الخصيصة حين يلاحظ أن أصول الفطرة السليمة، موجودة في كل إنسان، مطمورة في داخل نفسه قيمها، وضوابطها، وقيودها، مما تجعله دوماً يحاول الظهور بالمظهر اللائق الحسن ليبقى نقي القلب، والقلب على السواء، ولهذا جاء في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (عشر من الفطرة : قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء) قال زكريا : قال مصعب : ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة زاد قتيبة، قال وكيع : "انتقاص الماء : يعني الاستنجاء)^١ .

والله سبحانه قد جعل في نفس كل مخلوق، فطرة مطمورة فيه، دالة على مراده تعالى تردّ الإنسان إلى الأصل الذي لأجله خلق، وتهديه إلى المنهج الذي به يسعد في دنياه، وينجو، ويفوز، في أخراه .

١١- منهج وسطي في تعاليمه : حين شرع، وقرر، وأمر، ونهى، بكل وسطية منضبطة، فلا تساهل مخلّ، ولا تشدّد مملّ، جاء ليرشد الخلق إلى حيث الرشاد، والسداد، ومواظن الهداية من رب العباد . قال تعالى في سورة البقرة : ﴿ وَكَذَلِكَ

جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (١٤٣) .

وتتجلى هذه الخصيصة حين يلاحظ وسطية المنهج الحق مشاعة في كل شيء، من عقائد، وعبادات، وتعاملات، وتشريعات، وتعاليم، فلا تصلّب، وتشدّد ولا

^١ رواه مسلم، (٢٦١) . والبراجم، جمع برجمة، وهي العقد والمفاصل ولا سيما الصغيرة .

الخير العظيم لمنهج الوقائي في القرآن الكريم

تسهل وتفلت . فالشارع الأعلى سبحانه أراد أن يكون منهجه منهجاً يوافق القصد والاعتدال، بلا ميل أو انحراف، عن الصراط المستقيم، والطريق القويم .
 ١٢- منهج تنموي في مطالبه : من أهم ما دعا إليه، وجاء به وله، الحفاظ على مقدرات الإنسان وطاقاته، حين جاء بكافة المصالح والمنافع البشرية، محققاً بذلك التنمية البشرية بأسمى معانيها، وحين درأ عنهم جملة المفساد والمضار، ليحميهم من شرور أنفسهم، ومن شرور بعضهم بعضاً . قال سبحانه في سورة يس : ﴿يَسْ

﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ .

وتتجلى هذه الخصيصة حين يظهر وبكل وضوح كيف أن كل أوامر ونواهي المنهج الوقائي الحق، جاءت لتنمية كل ما يتعلق بجنس الإنسان، وعالم البشر، بلا استثناء .

١٣- منهج إرتقائي في غاياته : جاء ليرتقي بعموم الخلق إلى حيث الكمال البشري، والسعادة الأبدية في الدارين، ويحقق رفاهية الإنسانية جمعاء، لأنه من لدن حكيم خبير . قال تعالى في سورة البينة : ﴿وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾ .

وتتجلى هذه الخصيصة حين يتأكد أن القرآن الكريم قد جاء أمراً بكل الفضائل، ناهياً عن كافة الرذائل، مجبداً حسن الخلق، حاثاً على المكارم، داعياً للمحاسن، محققاً كل خير، داحضاً كل شر . فتحقق بذلك رفعة الإنسانية من كل وجه، وارتقى بهم في حياتهم في كل مناحيها ومجالاتها، ولا وجود لمنهج اتصف بمثل ما اتصف به المنهج الوقائي القرآني أبداً .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

١٤- منهج سام في شعائره : كل شعيرة منها لها ثمرات، وآثار، وفوائد، متحققة للخلق، جاءت لهدف ومقصد معلوم، لا يقوم غيرها به . قال تعالى في سورة الحج

: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعْبًا لَّيْسَ عَلَيْهِ فِيهِ مَالٌ كِثْرَةٌ فَاتَّبِعْهُ حَتَّىٰ تَبْطِئَ بِمِثْقَلِ ذَرَّةٍ مِّنَ الْحَقِّ وَيَكْتُمُوا خِطْيًا ۚ ﴾ (٣٢)

وتتجلى هذه الخصيصة حين يشعر المسلم بأن لكل شعيرة من شعائر الإسلام؛ ولا سيما التعبدية أثراً ظاهراً وملحوظاً في سمو أخلاق الناس، وأنها جاءت لتعالج جانباً من جوانب حياتهم، كالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، لكل منها أهداف، ومقاصد جليلة عليا تفوق الحصر .

١٥- منهج لائق في مظاهره : وفي كل تعاليمه، حين أمر بوجوب سلامة الظاهر والباطن وحسنهما، وحين اهتم بضرورة نقاء الروح والجسد، ليكون المسلم دائماً متجرداً من غوائله، وشروبه التي قد تهوي به إلى حيث الأذى، والرذيلة، الظاهرة والباطنة، سواء المادية أم المعنوية . قال جل في علاه في سورة البقرة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ

يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (٣٣)

وتتجلى هذه الخصيصة حين يلاحظ أن كل مأمورات ومنهيات الشارع الحكيم، حافظت على سلامة الروح والجسد، وطهارتهما، ونقائهما، من كل ما قد يندسهما، أو يضر بهما من قريب أو بعيد .

١٦- منهج كامل تام في عمومته : لأنه من عند إله الحق والصدق، ورب الكون والخلق، لا يتخلله أدنى نقص في منهجه وتعاليمه، ولا تفوته أية فائتة في أحكامه وتشريعاته، حاز بذلك الكمال التشريعي . قال تعالى في سورة المائدة : ﴿ الْيَوْمَ

أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (٣)

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

وتجلى هذه الخبيصة حين يتبين كيف أن جملة تشريعاته، تامة ومتكاملة بكل معنى الكلمة، لا يتخللها نقص، ولا يتداركها فوت . وتماها يأتي من حيث الاستغراق للجميع، مع بلوغ غايات النفع للعباد، مما شرعه سبحانه لعباده، أما كمالها فيأتي من حيث الشمول، وإدراك المنتهى، في تسامي التشريع الحكيم . فالشارع الأعلى جل وعز وضع هذا الدين الحق، والشرع الصدق قبل أن يخلق العباد، فقبل أن يأمرهم بتطبيق تعاليمه، وضع لهم القلب التشريعي التام المتكامل، بما لا نقص فيه ولا خلل، ولا خطأ ولا زلل، فتحقق بذلك لعموم البشر وقايتهم، على الوجه التام، وبكل دقة، وما ذاك إلا من لدن عليم خبير سميع بصير .

والخلاصة هي أن القرآن الكريم منهج وقائي عام، اتصف بخصائص حققت كل ما من شأنه نفع البشرية ككل، بما يحقق لهم السعادة في الدارين . وهو ليس منهجاً شرعياً دينياً وحسب، بل هو منهج فكري خُلقي؛ حياتي، شمولي النفع، عمومي المصلحة، لخيري الدنيا والآخرة .

كل هذه الخصائص الأنفة الذكر هي الخصائص الذاتية للمنهج الوقائي القرآني، واصفة حاله، مبينة حقيقته . أما خصائصه من حيث الإستيعاب والشمول . فهي :

أولاً- كونه منهجاً إنسانياً : تام في احتوائه لعموم منافع، ومصالح الجنس البشري الإنساني، مانعاً عنه جميع المضار والمفاسد، على كافة المستويات الإنسانية . فهو :

١- منهج فردي : جاء بكل ما يحقق السعادة للفرد، على المستوى الشخصي، ويقيه شرور نفسه، ويضمن له السلامة في الدنيا والآخرة . قال تعالى في سورة لقمان : ﴿ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

هذا المنهج الوقائي القرآني الفردي، استوعب كل أفراد المجتمع على اختلاف الجنس، فقد تكلم عن الرجل بوصفه رجلاً، حين حماه من الفتنة، بوجوب حفظه لبصره وفرجه، إلا على الزوجة، ومن هي في حكمها من ملك اليمين، وحين حقق له القوامة على المرأة، وحين ألزمه بحقوق النفقة، والرعاية، والعناية لأهل بيته، وحين أمره بوجوب قيامه بحق النصح لهم والوقاية من كل مكروه، وحين جعل له ضعف نصيب الأنثى حال الميراث؛ لأنه هو القيم على الأسرة، وحين تعامل معه بوصفه الراعي المسؤول الأول عن مصالح الأسرة المؤمنة، وما إلى ذلك من تنظيمات كثيرة في الحياة الدنيا .

كما تحدث عن المرأة، وضمن لها كل ما يحقق لها الحياة السعيدة، حين ألزم الزوج بالنفقة عليها لتتفرغ هي لبيتها وأهل بيتها، وحين بين لها أن الرجل هو صاحب القوامة الذي يجب عليها طاعته، وحين أمرها بوجوب لزوم بيتها بعداً عن التعرض للفتن، وحين أمرها بحفظ بصرها وفرجها وفراش زوجها، وحين نهاها عن التبرج والسفور والاختلاط بالأجانب، وحين أمرها بحسن التبعل لزوجها، وبوجوب رعايتها لأولادها، وحين حذرهما من سوء عاقبة الخيانة الزوجية ومن إغضاب الزوج؛ لأن ذلك في حقيقته إغضاب الله تعالى قبل الزوج، وحين فرض لها المهر حال الزواج، واعتبر ذلك حقاً لها، وحين أعطاهما حرية التصرف الكامل في مالها، وما إلى ذلك من وقائيات كثيرة .

كما تكلم عن الأولاد، فحفظ لهم كل ما يحقق مصالحهم، فأمر الوالدين بوجوب القيام عليهم بحق الرعاية والوقاية والاهتمام بهم، وحذر من الافتتان بالولد، وأمر الأولاد بوجوب طاعة الوالدين والبر بهما والحذر من العقوق، وبين أن الولد قرة عين لوالديه مما يستلزم عليهم القيام بواجب النصح، والتربية، والعناية، والرعاية،

الخير العميم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

وفرض للأولاد من الحقوق ولا سيما الموارث ما يضمن به حقهم فيها، ويبيّن أن للذكر ضعف الأنثى لما يستقبله في حياته من تكاليف أسرية، وما إلى ذلك من تنظيمات .

٢- منهج أسري : تناول بتعاليمه كل متطلبات الأسرة المسلمة، بما يضمن لها الاستقرار، والراحة، والوئام، في حياة زوجية، وأسرية متوازنة مطمئنة، وعناية المنهج الحق بالفرد؛ لأنه عضو فاعل في الأسرة، وصلاح الأسر يعني صلاح المجتمع بوجه عام ولا ريب . قال تعالى في سورة النساء : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَأَلْصَقَتْ قَيْنَاتُ حَافِظَاتُ اللَّغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ .

وعناية المنهج الحق بالأسرة؛ لأنها اللبنة الأساسية في صلاح المجتمع، وهي في حقيقة وضعها كما لو كانت مجتمع مصغر، فرسم لها خطوطاً عريضة ضمن بها الحياة السعيدة بحق، حين حدد القيم على الأسرة حتى لا ينفرد عقدها بصراع لا حقيقة له، وحين أمر بوجوب حفظ الفروج وغيض الأبصار حتى لا تحصل الفتنة فيزهد شريك الحياة في شريكه، وحين أمر بوجوب النفقة على الطرف القادر على صراع الحياة الساعي على تحصيله بحسب الطاقة والوسع، وحين أمر بوجوب صيانة البيت المسلم من كل ما يضر به، وحين أمر بوجوب طهارة النسل وسلامة الأعراس، وحين أمر بوجوب حسن اختيار شريك الزوجية، وحين بيّن للزوجين ما يجب عليهما حال النشوز والخلاف الزوجي، وبين كيفية الصلح، وحين أمر الزوج

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

بوجوب العدل بين نسائه إن كان له أكثر من واحدة، وما إلى ذلك من سائر الأمور لحياة وقائية أسرية منتظمة .

٣- منهج أمة : استوعب كل أفراد الأمة الواحدة، على اختلاف شعوبها، وتعدد أعراقها، حين ألغى كل رباط سوى رباط الإيمان والدين الحق، الذي حفظ به للجميع كافة متطلبات الحياة السعيدة الهائلة متى طبقوا تعاليمه، في ظل قيم العدل، والمساواة، والمحبة، والإخاء، والترابط الديني القوي، والعلاقات الإيمانية الوطيدة .

قال تعالى في سورة آل عمران : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (١١٠) .

هذا المنهج الوقائي القرآني الأممي حرص كل الحرص على وجوب انصهار المؤمنين في بوتقة الأخوة الإسلامية على الوجه المطلوب، الذي يحقق الوحدة فيما بينهم، فلا حزبية ولا تكتلات، ولا فرق ولا جماعات، تفتت كيان الأمة الواحدة، وتشقت شملها، وتفرقت جمعها، وتذهب بمصالحها، خلف أطماع الحزبيات، والخلافات المقيتة، وكفى بذلك وقاية من الضعف والهوان وأسباب التشتت والفرقة والاختلاف .

٤- منهج عالمي : تعدى نفعه الأمة المسلمة الواحدة، ليشمل بتعاليمه العالمين أجمعين، في رباط إنساني عام، فريد من نوعه، فيما بين مجتمعاته المتفرقة . قال تعالى في سورة الأنبياء : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١٠٧) .

ولهذا جاء في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة، وأعطيت

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

الشفاعة)^١. أفاد هذا الحديث أن محمداً ﷺ ليس نبياً للعرب وحسب، وإنما هو رسول عالمي الدعوة، وإلى قيام الساعة، وجهت دعوته إلى الناس كافة، دون استثناء لأحد، لينتشل الإنسانية من ظلامها، وضلالها، وسفالتها، وشروها، إلى حيث نورها، وهداها، ورفعها، وخيراتها، بهذا الدين الحق والمنهج الصدق .

هذا المنهج الوقائي القرآني العالمي رسم للعالم أجمع منهجاً حقاً، شمل سائر التنظيمات والقوانين، التي من شأنها حماية البشر من شروهم، وتحقيق مصالحهم متى تمسكوا به .

لذا كان من جملة مصادره التشريعية مفهوم المصالح المرسله، التي لا تقف عن حد الزمان والمكان، وإنما أرسلت لتبقى محتوية لمصالح البشر، زماناً ومكاناً، مراعية لمقتضى الحال والوضع . وكفى بذلك منهجاً وقائياً حقاً .

ثانياً- كونه منهجاً كونياً : فاقت عموم تشريعاته، وجميع تعاليمه، الجنس البشري الإنساني، لتشمل كافة مخلوقات الكون وعوالمه، فشمّل بذلك :

١- عالم الجن : حين تأكد أن تشريعات المنهج القرآني تعدت الإنسان، لتشمل العالم الخفي، بما يضمن لهم الحياة السعيدة في الدارين سواء، فرسول الله ﷺ خاتم النبيين عليهم الصلاة والسلام، وقد بعث لعموم الثقلين سواء . قال تعالى في سورة الأحقاف : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

^١ رواه البخاري، (٣٣٥) و (٤٣٨) .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

أن المنهج الحق والشرع الصديق قد شمل عالم الجن، وقد حوت تشريعاته ما يحقق لهم النفع والمصلحة، ويدراً عنهم المضرة والمفسدة، كما حققه لعالم الإنس .
لذا جاء في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ للجن : (لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً، وكل بعرة علف لدوابكم، ثم قال ﷺ : فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم)^١ .

٢- عالم الحيوان : تناولته تعاليم المنهج الحق وطالته، ووضعت له منهجاً حقاً لحمايته، أرست جملة من التشريعات التي تبين كيفية التعامل معه؛ سواء المأكول من سائر الأنعام أو غير المأكول، قبل أن يعرف الإنسان الطريق لذلك، مما يعرف اليوم بحقوق الحيوان . قال تعالى في سورة الأنعام : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالِكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ تُرَى إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ .



إن منهج القرآن الكريم خير منهج حق، ضمن حقوق الحيوان وحمایته على الوجه الصحيح، حين وضع للبشرية كافة التعاملات الصحيحة معه، فمع كونه حيواناً محكوماً بالغريزة لا عقل له، فإن له في منهج الإسلام حقوقاً يجب أن تراعى . لذا جاء في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته)^٢ .

^١ رواه مسلم، (٤٥٠) .

^٢ رواه الترمذي، (١٤٠٩) . النسائي، (٤٤٠٥) . وصححه الألباني من سنن الترمذي .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

٣- عالم النبات : جاء المنهج الحق بكل ما يحفظه، باعتباره أحد مخلوقات الله تعالى في الأرض، حين أمر بتعهده، والاهتمام به، والمحافظة عليه، وعدم التعدي عليه، بالفساد والإفساد . قال تعالى في سورة البقرة : ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَكَئِ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴾ (٢٠٥) .
 المنهج القرآني أمر بالاهتمام بعالم النبات، وبتعهده، وزرعه، وغرسه، لما فيه من غذاء للناس، ولما فيه من منافع كبيرة وكثيرة، ومتعددة لعالم البشر ذات قيمة غذائية، وصحية، وطبية، ودوائية، أثبت العلم الحديث ذلك، هذا بالإضافة لما له من زينة وجمال وبهاء وعطر فواح .

لذا أمر رسول الله ﷺ في الحديث النبوي الشريف بزرع الشجر مهما كان الأمر، لما في ذلك من الأجر، والظل، والخير، والمنفعة العامة بقوله ﷺ : (إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها)^١. فهذا الحديث كما أنه دليل على قيمة العمل في الإسلام، فهو أيضاً دليل على الاهتمام بالنبات، لما للاهتمام به من آثار طيبة باقية .

٤- عالم الجماد : حوى المنهج الحق، وشرعه الصديق العالم الأرضي أجمع؛ حتى عالم الجماد وما هو في حكمه، كان له نصيب من تشريعاته وتعاليمه . قال تعالى في سورة الأعراف : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٥٦) .

^١ رواه أحمد، (١٢٩٠٢) . والبخاري في الأدب المفرد، (٤٧٩) . وصححه الألباني من أحاديث الأدب المفرد . والفسيلة : النخلة الصغيرة .

الخير العميم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

إن الله تعالى يحفظ الأرض ومن عليها بإقامة البشر للحدود الشرعية؛ لأنه بذلك يتحقق تطبيق منهج الله تعالى الحق وشرعه القويم على ظهرها، ولا أمان لأهل الأرض، ولا استقرار لهم إلا بذلك وهذا ولا ريب فيه حفظ للديار من الفساد؛ لأن في مخالفة المنهج السماوي الحق؛ دمار الديار وأهلها، بشؤم ما كسبت أيديهم وبما اقترفوا من أعمال تضاد مراد الله تعالى . لذا جاء في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : " حد يعمل به في الأرض، خير لأهل الأرض من أن يمطروا أربعين صباحاً"^١.

٥- العالم العلوي : تجاوز المنهج الحق عالم الأرض، ليحوز الكون بما فيه حتى السماء والعوالم العلوية؛ تناولها وبين أن الكون كله استقام على مراد الله سبحانه^٢. قال تعالى في سورة المؤمنون : ﴿ وَلَوْ أَتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ^٣ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ .

المنهج القرآني الوقائي يبين أن هذا الكون كله، مصرف مدبر مسخر بتسخير الله تعالى له، يسير وفق نظام دقيق، متناهٍ في الدقة، لا يخرج عن نطاقه، وفي مسارات معلومة موجهة، لا يجيد عنها أبداً .

ولهذا جاء في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : "أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟" قالوا : الله ورسوله أعلم قال : "إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخر ساجدة، فلا تزال كذلك حتى يقال لها :

^١ رواه النسائي، (٤٩٠٤) . ابن ماجه، (٢٥٣٨) . وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، (٢٣١) .

^٢ تعليق : المنهج الوقائي لم يأت ليخاطب العالم العلوي من حيث الأصل، ولكنه تناوله في حديثه، بما يظهر شموليته، وأنه من لدن حكيم خبير .

الخير العظيم لمنهج الوقائي في القرآن الكريم

ارتفعي، ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخر ساجدة، ولا تزال كذلك حتى يقال لها : ارتفعي، ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري لا يستكر الناس منها شيئاً حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش، فيقال لها : ارتفعي أصبحي طالعة من مغربك، فتصبح طالعة من مغربها "، فقال رسول الله ﷺ : "أندرون متى ذاكم؟ ذاك حين {لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً}"^١.

هذا هو المنهج الوقائي الحق، الذي جاء به القرآن الكريم، متصفاً بكل هذه الخصائص الذاتية، مستوعباً كل عام الخلق، لم تقتصر مدي نفعيته على الدنيا وحسب ! وإنما تعدى نفعه للدار الأخرى، فهو منهج دنيوي، وأخروي، حقق السعادة الحقيقية في الدارين سواء :

١- فكونه منهجاً دنيوياً : لا وجود لمنهج أحسن منه على الإطلاق، حقق السلامة لعموم جنس الإنسان، وضمن له النفع في دنياه، ووقاه من كل شر، وسوء، وبلاء، ومكروه، ومنكر، ومهلك؛ قد يختل به نمط الحياة الدنيا المعتادة، بما جاء به من جملة الوقائيات، والتشريعات، والتعاليم الدينية الحقة، التي آتت ثمارها في واقع البشرية . قال سبحانه وتعالى في سورة الطلاق : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ

مَخْرَجًا ۗ

٢- وكونه منهجاً أخروياً : ضمن للإنسان الوصول إلى دار السلام، في جنة عرضها السموات والأرض . قال تعالى في سورة آل عمران : ﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا

^١ رواه مسلم، (١٥٩) .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا
عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴿١١٨﴾ .

والمحصلة النهائية : تبين أن المنهج الوقائي القرآني يقوم على أساسين اثنين

يشملان عموم تنظيماته . هما :

١- الأساس الأول . أنه منهج جامع لكل مصلحة ومنفعة .

٢- الأساس الثاني . أنه منهج مانع لكل مفسدة ومضرة .

كما تبين أن له خصائص كثيرة، أظهرت مدى نفعية تعاليمه، ومحاسن شريعته،
وأبرزت استيعابه وشموليته، لكل الشرائح البشرية، والطبقات الاجتماعية، والأمم
والشعوب، والأفراد والجماعات، بل وسائر المخلوقات الأرضية والسموية .

الخير العظيم لمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المبحث الثالث

أهمية المنهج الوقائي في القرآن الكريم

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المبحث الثالث : أهمية المنهج الوقائي :

للمنهج الوقائي في القرآن الكريم مكانة كبرى؛ أرسى خلالها منهجاً وقائياً متكاملًا، شمل كل جوانب الحياة الدنيا، ومجالاتها، ومتطلباتها، ابتداءً من حفظ الضرورات الخمس، ومروراً بتوفير الاحتياجات، وسعيًا لتحقيق التحسينات، كل ذلك إرساءً لمفهومه الحق .

ولا مبالغة إذا قيل : كل آيات القرآن الكريم جاءت بالوقاية التامة، على اختلاف درجات ذلك . وكل هذا يوضح ولا ريب مدى أهميته . فآيات القرآن الكريم بصفة عامة إنما جاءت لتحقيق شرع الله تعالى وإقامته للخلق؛ المتضمن الوقاية الكاملة التامة، بكافة أهدافها ومقاصدها . والقرآن الكريم منهج رباني قويم جاء من عند الرب الحكيم، لينعم بتطبيقه البشر في حياتهم الدنيا، ومن ثم في حياتهم الأخرى .

وبالتالي فقد اهتم المنهج الوقائي في القرآن الكريم، بمراعاة كلا الجانبين المادي والمعنوي؛ للبشر؛ لأن الله تعالى خلق البشر من روح وجسد، وهو سبحانه أعلم بهم، وبخلقتهم، وأدرى بما يصلح لها شأنها، وقد سبق بيان معنى قوله جل في علاه

: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝١٤ ﴾ .

والجانب المادي اهتم تماماً بالجسد الملموس، وكل ما يتعلق به، في حين اهتم الجانب المعنوي بالروح، وكل ما يتعلق بها . منهج وقائي حقق للبشر مفهوم الوقاية بمفهومها الشمولي العريض، الذي قام على التوازن بين كل قوى الإنسان، مستوعباً شتى المجالات . لذا اهتم القرآن الكريم اهتماماً بالغاً بتأصيل المنهج الوقائي في كافة الجوانب، حين ساق جملة من الآيات، أرسى خلالها متطلباته، وأهم أركانه، وأسسها، وقواعده . فحقق بذلك :

الخبر العظيم المنهج الوقائي في القرآن الكريم

١- اليقين العقدي . حين أورد عشرات الآيات، ليحمي حياض العقيدة والتوحيد، وليعرف المسلم كيف يعبد ربه سبحانه، على نور منه جل في علاه، من خلال التأصيل والإرساء الصحيح لذلك، ومن خلال إظهار عاقبة الانحراف عن العقيدة الصحيحة وبيان ذلك، إذ لا يمكن بحال إقامة دين حق بمنهج صدق، على عقيدة غير صحيحة ينطلق منها المؤمن . كقوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ . وقوله سبحانه في سورة الكهف : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ . فالعقيدة الصحيحة جاءت أمرة بسلامة النية، والمقصد في كل أمور الدين، مبينة أن فساد النية يعني فساد العمل، فاقتضت إقامة أركان الإسلام الخمسة، التي هي أساس هذا الدين الحق، الداعي لحقن الدماء، وحفظ الأموال، وسلامة كل الضرورات .

المنهج الوقائي الحق جاء ليدل المسلم على ماهية العقيدة الصحيحة، فيعرفه من هو الله تعالى، الخالق العظيم، الرازق الكريم، ويعرفه ماذا يريد منه ؟ ولماذا خلقه، وكيف يعبد، وماذا أعد سبحانه لمن عبده وأطاعه، وماذا أعد لمن كفر به وعصاه ؟ ليعرف الإنسان الهدف الرئيس من الحياة ووجوده فيها . جاء ليعلمه معنى دين يعتنقه ؟ وحقيقة رب يعبد ؟ وكيفية شرع يتبعه ؟ ونفعية تعاليم يسير عليها ؟

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

وأراد من الإنسان أن يعلمه كيف يقيم دينه بكل اقتناع واطمئنان ؟ بعد أن يتعرّف عليه من مصدره الأصيل، ومنبعه الجليل .

المنهج الوقائي الحق جاء بكل ما يضمن للإنسان سلامة دينه ومعتقده، حين يقف على الحق بنفسه وبلا مؤثرات، وحين يرى ويشاهد في الكون دلالات السير على عقيدة صحيحة، وعاقبة ذلك، وحين يلمس وخامة الانحراف عنها وعاقبة ذلك السيئة، لأنه جاء من عند إله الصدق، الذي فطر الناس سبحانه على وجوب اعتناق الإنسان لدين يجد فيه بغيته، ويلبي احتياج غريزة التدين فيه، فوفر له كل ما يحقق ذلك بالضبط . وفي الوقت نفسه حذر المسلم من كل ما قد يؤثر على دينه، من كفر، وشرك، ونفاق، وقوادح توحيد، وما إلى ذلك، حذر من سوء عاقبة الاستخفاف بهذه الأمور، أو الانحراف عن العقيدة الصحيحة، بعد أن أزال كل شبهة، ودفع عنه كل لبس، وأبطل كل زعم، قد يقع فيه المسلم، حين تناول مسألة العقيدة من كل وجه، وعالج كل ما قد ينشأ نتيجة الانحراف فيها، أو الفهم الخاطئ لها، ليبقى المسلم في دائرة العبادة الصحيحة لربه سبحانه وتعالى .

وبهذا رسم المنهج الوقائي الحق لعموم البشر خطوط الاعتقاد السليم، وحد لهم حدود الدين القويم، التي لا يمكن بحال تجاوزها وإلا لفسدت العقيدة . وحينها سيضلل الفرد طريقه متى عاش من غير معتقد سليم، واضح المعالم، يبين له حقيقة الدين الحق، والشرع الصدق، وما شقي العالم الأرضي وأمه، وشعوبه، ومجتمعاته، إلا لما اتكأت على هزالات عقلية، واستحسانيات فلسفية، موضوعة على أنها تعاليم عقديّة ربانية، تلك الهزالات؛ أوقعتهم في مشكلات لا خلاص لهم منها، ولا فكاك لعقولهم من ملزمتها، وشبهاتها، وما ذاك إلا لأنهم وضعوا العقيدة، ولم يأخذوها ممن وضعها لهم، وهو العلي الأعلى جل ربنا في علاه .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

٢- النضوج الفكري . حين أورد جملة من الآيات ليضمن سلامة الفكر، من كل ما يشوبه ويضر به، أو يؤثر عليه من مؤثرات، أياً كانت، من خلال بيان المنهج الحق، وطريق الصلاح والإستقامة والهداية، ومن خلال التحذير من عاقبة الجنوح، والشطح، والانحراف، إلى حيث الضلال، والظلام، والخبال، والأوهام، فمن غير المنطقي أبداً إقامة المنهج الحق، على فكر متخبط، وعقل متشكك، وقلب متردد . لأنه أراد من الإنسان أن يسير وفق فكر سليم، خالٍ من أية مؤثرات قد تفسد عليه حياته، أراد منه أن يستعمل قدراته العقلية في فهم الحقائق كما ينبغي، وفي ترجيح الحق على الباطل، والنور على الظلام، والهدى على الضلال، والخير على الشر . كقوله عز وجل في سورة الأعراف : ﴿ **أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جَنَّةٍ إِن هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ** ١٨٤ ﴾ . وقوله سبحانه في سورة يونس : ﴿ **فَذَلِكُمْ** **أَللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ** ٣٢ ﴾ .

المنهج الوقائي الحق صان الفكر من السبح المنطلق، بعموم الأفكار، والرؤى، والاستحسانيات، من غير حدود يقف العقل عندها، أو خطوط يستضيء ويستنير بها، أو معالم ينهل منها، أو ثوابت يصدر عنها، أو قيود، وضوابط، تحكمه وتوجهه .

أراد من البشر النظر لما في دواخل عقولهم، وبواطن نفوسهم، من معالم الفطرة المظمورة فيهم، ومن أدلة الحق المغمورة فيها، ليعرفوا حقيقة هذا الخلق العظيم، والهدف من وجوده .

إن الله تعالى صبغ الخلق على مراد فطرة دالة عليه سبحانه، تهديهم للحق، والخير، والبر، والهدى، والنور، متى سلم الإنسان من المؤثرات الخارجية عليه، التي قد تفسد دلالة الفطرة الصحيحة، فوجب على المسلم التحري لأمر دينه، حتى لا

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

يقع في أدنى شبهة منها قد تفسده عليه، وهذا في حد ذاته سلامة للمسلم من كل شر، وسوء، ومكروه .

وبهذا يكون قد جاء بالضبط ليحمي الإنسان من دوامة الأفكار المجردة من الضوابط، ومن الاستحسانيات الخالية من القيود، التي لا تسترشد بالدين، ولا تعتمد على منهج حق تسير عليه، وكبرى مشكلات العالم اليوم وجهوده الحثيثة، تحوم حول إيجاد فكر وسطي معتدل، لا تطرف فيه، ولا انحراف، يتفق عليه الجميع ولا يختلفون، فأين هم من المنهج الوقائي الرباني الحق، الذي سيغني الجميع عن تنظير بعضهم لبعض، ولا غنى للجميع عنه بأي حال أبداً .

٣- الاطمئنان النفسي . حين أورد عشرات الآيات التي تكلمت عن النفس، ليحقق طمأنينتها، واستقرار انفعالاتها، وخلجاتها، من خلال إرساء ما يعصمها ويقودها إلى حيث الفوز العظيم، ومن خلال ما يهذب سلوكها، ويحقق رغباتها، ويوجه طاقاتها الوجهة الصحيحة، في كلا الجانبين المادي والمعنوي، وليس من الطبيعي إطلاقاً، الاقتناع بمدى نفعية هذا المنهج الحق؛ بنفس حائرة، وإرادة تائهة، لا تعرف الحق من الباطل، ولا الخير ومن الشر ولا الهدى من الضلال .

كقوله جل في علاه في سورة المائدة : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ

لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ۗ ﴾ (١٠٥) . وقوله تعالى في سورة الشمس : ﴿ وَنَفْسٍ

وَمَا سَوَّيْنَاهَا ۖ فَالْمَهْمَاهُ فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ ﴾ (٨) .

المنهج الوقائي أحاط النفس البشرية بكل عناية، وزودها بكافة التعاليم التي تقيها مما قد يعرض لها، أو يضر بها، أو يؤثر عليها .

وتحدث عن النفس من كلا الناحيتين، الإيجابية للتمسك به ولترتدي ثوبه وتزوين بجلته، والسلبية لتحذر منه وتتوخاه وتجتنبه .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

وجعل للإنسان عقلاً يفكر فيه، ويختار بين البدائل والاختيارات، وجعل له في شواهد الكون المرئي، ما لا حصر له من الدلائل والقواطع، التي تبين له الحق واضحاً جلياً، وتظهر له الباطل عارياً هزيباً . وأراد منه التبصر في حقيقة وجوده في هذه الحياة، والتعرف على الهدف الرئيس من ذلك، ومن ثم معرفة دوره فيها .

المنهج الوقائي هو المرشد الحقيقي للنفس البشرية، والموجة الدقيق والمباشر لكل انفعالاتها، ورغباتها، وتطلعاتها، وأشواقها، حين حذرنا من الانطلاق في حمأة رغبات، ونزوات، وقتية هوجاء، حمقاء، لا حدود لها، ولا ضوابط تقيدتها، مما يجعلها قد تضر بذاتها، أو بغيرها .

إن الله تعالى قد جعل في النفس البشرية المؤشر الحقيقي لمعرفة الحق من الباطل، والخير من الشر، كالوازع النفسي داخل الإنسان، وهذا بدوره يجعله دوماً ينصت لذلك الصوت الخفي بداخله، الذي يدعو للحق، والخير، والبر، والهدى، الأمر الذي يقتضي الحذر من قضية التفريط والتهاون في مسألة محاسبة النفس، والانخراط في غيها، وفي دوامة الأمانى الكاذبة، وأحلام اليقظة المفرطة، والتي تعرف بحيلة العاجزين .

وبهذا يكون قد وضع للنفس البشرية جملة من التوجيهات، والوقائيات، التي تضمن لها الحياة السعيدة، في ظل توازنات نفسية لا غنى للإنسان عنها، بل إنه سيواجه كل الشقاء متى تجاهلها، أو تجاوزها، أو تغافل عنها، والعلماء الذين اعتنوا بهذا الجانب من العلم على مر التاريخ كثفوا جهودهم لدراسة النفس البشرية، ومتعلقاتها من كل وجه، كي يعرف الإنسان كيف يتعامل معها، ومن ثم يخفف من حدة المشكلات التي تواجهها . وأنى لدراسات بشرية مهما كانت، أن تحيط بها، كما أحاط المنهج الوقائي الرباني الحق بكل خصوصياتها ومتعلقاتها !

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

٤- التنظيم التشريعي . حيث ذكر عشرات الآيات التي تكلمت عن الشرع المطهر، لينظم حركة الحياة، بتعاليمه السمحة، فيعرف المرء كيف يعبد ربه سبحانه، وكيف يتعامل معه عز وجل، ويعرف كيف يتعامل مع خلقه، من خلال إرساء جملة من التشريعات المتضمنة الالتزام بالأحكام، ومن خلال إقامة الحدود التي هي جزء من التشريعات، مع قدرة التشريع على مراعاة مقتضى الحال، والتي تعد من أميز ما يميز مدى نفعيته، وصلاحيته تعاليمه لكل الزمان والمكان، وأبرز ما يحقق ذلك بكل وضوح .

كقوله جلت قدرته في سورة المائدة : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (٣) . وقوله سبحانه في سورة النحل :

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ ﴾ (٤٤) .

المنهج الوقائي أراد من الإنسان أن يعرف ماذا ترك الله تعالى له، من ذخيرة ضخمة، ضمن بها لعموم البشر الحياة السعيدة الهانئة متى ما تمسكوا بها، حين حقق لعموم البشر كافة المصالح التي أدركتها عقولهم، والمصالح التي تدركها عقولهم بعد؛ زماناً ومكاناً؛ حالاً ووضعاً .

وحين حمى عالم البشر من الخضوع لبعضهم بعضاً، حين يرى أيُّ فرد فيه أن له القدرة على التقنين والتشريع والتنظير، ومن ثم يريد من الجميع السير على ما رآه حسناً، كل ذلك ليخضع الجميع لله تعالى العلي الأعلى سبحانه .

المنهج الوقائي الحق قطع الطريق على كل من رأى في نفسه الأحقية والجدارة، وأعطى لقوله الأولوية والصدارة، وأراد من العموم متابعتة بلا تحقُّظ، ليكون المشرع هو الله سبحانه، الأمر، الناهي، والخلق كل الخلق أمام شرعه سواء .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

وحين بيّن أن وضع العلي الأعلى سبحانه الذي خلق فسوى وقدر فهدى، والأخذ به يعني تساوي كل الرؤوس أمامه لا فرق بين أحد من البشر أبداً، وما شقي العالم أجمع قديماً، وحديثاً بين متبوع رفيع، وتابع وضيع، إلا لما تفاوتت أفهام العقول، فيمن هو الأجدر يا ترى، والأحق من عالم البشر، ليقول، ويقنن، ويشرّع، ولا تلافٍ لقوله، كما لو كان قولاً فصل .

إن هذا الدين الحق جاء بشرع مطهر، سهل سمح، قائم على مبدأ اليسر بالخلق، وهذا في حد ذاته اقتضى رفع الخطأ والنسيان وما استكره عليه المرء، ومن هنا اكتسب الشرع المطهر صبغة غاية الرأفة، والرحمة، واليسر بالخلق .

٥- الكمال الأخلاقي . حيث أورد آيات تكلمت عنه، ليزكي أخلاق الناس، فتظهر معالم الأخوة الإسلامية فيتحقق التكاتف فيما بينهم، من خلال تعميق حب الخير للغير، ومن خلال تبشيع سوء الخلق، وآثاره السيئة على الجميع . والمنهج الحق هو منهج الأخلاق الفاضلة، فكيف له أن يتخطى ذلك، ولا سيما أنه أراد من البشر أن يقيموا علاقاتهم في دنياهم على أساس إشاعة قيم المحبة، والإخاء، والبذل، والعطاء، والرحمة، والعفو، والعدل، والمساواة، وما إلى ذلك .

كقوله سبحانه في سورة آل عمران : ﴿ فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ . وقوله جل في علاه في سورة القلم : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ .

المنهج الوقائي زين شريعته المطهرة وتعاليمه القويمية بسياج الأخلاق، والفضائل، وجعلها الرباط الوثيق فيما بين البشر .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

ويبين لعموم جنس الإنسان أن حدوداً في الشريعة يمكن الاستغناء عنها، متى تعامل الخلق فيما بينهم بالأخلاق والمكارم، كسائر حدود الجرائم والعقوبات، التي يمكن أن يستغني عنها المجتمع المسلم متى أقام شرع الله سبحانه وتعالى فيما بين سائر أفراده .

وأراد أن يعلم الناس أن التعامل بأسلوب المصلحة البحتة المنفعة الصرفة، قد يجعل الناس يتقاطعون، حين يركضون خلف المصالح، والمنافع، فقرر التعامل بالأخلاق من باب البذل، والتضيحة، والإيثار، فيما بينهم .

إن حسن الخلق من أثقل الأعمال في ميزان العبد يوم القيامة لما له من آثار حميدة، تعين المسلم على تكوين علاقات مثمرة مع غيره من الناس، وهذا في حد ذاته أهم ما جاء به الدين الحق، أمراً به داعياً إليه .

المنهج الوقائي الحق كما أنه دين عبادة بين الخلق وربهم سبحانه، فهو أيضاً دين معاملة بين الخلق بعضهم بعضاً، يتعاملون بقيم الأخلاق قبل التعامل بالحقوق والحدود، وبالتالي فلا سبيل لإقامة علاقات صحيحة سليمة، لمجتمع متكامل صحي سليم، إلا بالأخلاق وقيمها الفاضلة .

٦- الأصالة التربوية . بما أورد من آيات تكلمت عن التربية، لتسير على المنهج الحق، وفق مراد الله سبحانه، من خلال إرساء مفاهيم القيم، والفضائل، ودورها الرائد في الحياة، ومن خلال التأكيد على أن عاقبة فساد التربية في المجتمعات، له آثار سيئة وخيمة، إذ من غير المعقول إقامة المنهج الحق، على أساس تربية فاسدة منحلّة، لا تعرف قيمته ولا مدى نفعيته .

كقوله جل شأنه في سورة التحريم : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْأَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ

نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴿٦﴾ . وقوله جل وعز في سورة التغابن :

الخير العظيم لمنهج الوقائي في القرآن الكريم

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَّا مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَوْا وَتَصَفَحُوا وَتَغَفَرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ .

المنهج الوقائي ربّي الإنسان على خير مرادات، وقيم، ومبادئ، تضمن له الحياة السعيدة الفاضلة، وتجنّب كل أنواع الفساد، والفوضى والتوهان، وتبين له كيف يتعامل مع الآخرين بكل وعي، ولباقة، ومسؤولية، ليكون فرداً صالحاً في معيشتة، منتجاً في مجتمعه، نافعاً في موطنه .

ووضع له التعاليم القيمة، والتوجيهات النافعة، قبل أن يخلقه، ليبين له أنه منهج رباني متكامل موجود قبل وجوده، ليسمو بالإنسان إلى حيث الرفعة، ليعيش حياة الشرف، والنزاهة، والبذل، والعطاء، ويربو به عن مواطن الذل، والهوان، والضياع، والتوهان، كي لا يعيش حياة البهائم، من غير منهج يهديه، ويدله، ويرشده، ويوجهه، ومن غير هدف وقصد يسعى إليه ويرجوه ويرنوه .

إن كل مسلم مسؤول في حياته الدنيا عن استراعه الله تعالى إياهم، وملكه زمام أمرهم، مما يستوجب عليه القيام بحق الرعاية، والنصح تجاههم على الوجه الصحيح، في توجيهه، وإرشاد النشء، وتعميق جذور الفضائل، والمكارم، والأخلاق الحسنة .

المنهج الوقائي وضع بذور التربية الطيبة الصحيحة، في نفس كل إنسان، ليجد في قرارها ثمرة نفعية الصلاح، ووخامة الفساد، فوقاه من كل مفسد وموبق، وهذا هو الفرق الرئيس؛ بين تربية العالم غير المسلم، الذي يتعامل بالقيم، والمبادئ؛ لأنه يراها ذات مصالح تعود على الفرد بالنفع العاجل، والتي لولاها لما كان الإنسان ذا قيمة في مجتمعه، ولما حصل على ميزات آنية فيه، وبين تربية المنهج الوقائي الذي يربي الإنسان على قيم، ومبادئ، كفضائل تسمو به لها ثمرات عاجلة، وآجلة، في

الخير العميم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

الدنيا والآخرة سواء، تجعله يفكر حتى وإن فاته الخير في الدنيا، فإنه إن شاء الله تعالى سيدركه النعيم في الآخرة .

٧- الاستقرار السياسي . بما أورد من آيات تكلمت عنه، ليحفظ للناس استقرار حياتهم على المنهج الرباني الحق، المستمد من رب السماء، الذي يغنيهم عن تنظيمات البشر المتشعبة وتقنياتهم، من خلال الأمر بوجوب طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ وأولي الأمر من بعد، ومن خلال وجوب الاحتكام لشرع الله تعالى المطهر، الذي لا يتخلله النقص أبداً، إذ ليس من المتصور مطلقاً أن يخلو المنهج الوقائي من تعاليم سياسية، تحفظ حياة البشر وتنظم معاشهم، على الوجه السليم .

كقوله جلت عظمته في سورة النساء : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ . وقوله جل جلاله في سورة المائدة : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

المنهج الوقائي أراد من البشر أن يتعلموا الفرق بين المصالح والمفاسد، وبين المنافع والمضار، وبين الممكن وغير الممكن، في دنياهم .
كما دعا الخلق لمعرفة كيفية تحقيق التوازنات في حياتهم، وكيفية التعايش السلمي مع بعضهم على ظهر هذه البسيطة .

ومنع الإضرار بالآخرين، ونهى عن مبدأ التسلط عليهم، والاستبداد بهم، وحرّم استرقاق الناس، واستعباد البشر تحت طائلة احتياجهم وضرورتهم . وعلم الإنسان كيف يقيم الدولة، بكافة مرافقها، وكيف يبني كيانها، وحدّ لذلك حدوداً، وأعطى الحاكم كافة الصلاحيات، التي تعينه على توطيد دعائم الحكم .

الخير العميم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

وأمر بوجوب وحدة الصف، وجمع الكلمة، وحذر من وخامة الاختلاف والفرقة، فأمر بوجوب طاعة ولي الأمر واحترام الحاكم، وألزمه في نفس الوقت، بالرفق بالرعية، والقيام على شؤونهم، والسهر على مصالحهم .

إن إقامة شرع الله تعالى هو الضامن لسلامة البلاد والعباد، في كل زمان ومكان، والدولة المسلمة لا يمكن أن يستقيم أمرها على الوجه المطلوب بالضبط إلا بإقامة تعاليم شرع الله تعالى وقيم دينه، بتحقيق قيم العدل، والمساواة، والرحمة، والرفق، والنصح، والتوجيه الرشيد، وما إلى ذلك .

المنهج الوقائي الحق هو منهج حياة متكامل، بين أنه يسع الجميع أن يتعايشوا بسلام، فدعا لتكوين العلاقات فيما بينهم، وقرر كل ما من شأنه تحقيق ذلك، والناظر في سياسات العالم حديثاً يجد أن قانون الغاب والتغالب، هو الغالب المعمول به، والسائد فيما بين شعوب الأرض، ولا سبيل حقيقي للاستقرار الأكيد على ظهر هذه المعمورة، إلا بتطبيق المنهج الرباني الحق، الذي حقق نفع الجميع، ومنع الضرر عن الجميع، وأخذ من الجميع، وأعطى الجميع .

٨- الرقبي الاجتماعي . بما أورد من آيات تكلمت عنه، لتسلم الأمة المسلمة من كل الداءات، والمعضلات، والمشكلات، التي تنتشر وتشيع فيما بين أفراد المجتمعات المسلمة، من خلال إشاعة مبدأ الأخوة الإسلامية فيما بينهم، والتحذير من سوء العلاقات وتقطيع الأواصر، ومن خلال حمايتها بما يحقق مصالح الجميع، بتحقيق مفهوم الأمة الواحدة، ذات المصير الواحد، ومقتضيات ذلك، إذ الجانب الاجتماعي من أهم أهداف، وأغراض، المنهج الحق، التي جاء داعياً إليه وله، لتنظيم حركة الناس في مجتمع مسلم منظم، يقيم شرع الله سبحانه وتعالى وتعاليم دينه الحق .

الخير العميم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

كقوله سبحانه في سورة النساء : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ١ ﴾ . وقوله جل في علاه في سورة الحجرات : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ١٣ ﴾ .

المنهج الوقائي أقام علاقات الناس بعد أن بيّن للجميع كل ما يضمن لهم الحياة السعيدة المستقرة المطمئنة المتكافئة، في ظل منهج حياتي متكامل، لم يغفل عن أي جانب من جوانب الحياة الدنيوية، حين نظّمها غاية التنظيم، لترتقي بالمجتمعات فتنتشر الفضيلة وتختفي الرذيلة ويتعايش الناس حينها حياة التكامل لا حياة التغالب والتكالب، وجعل تلك العلاقات قائمة على قيم العدل، والمساواة، والمحبة، والإخاء، حتى يشعر الجميع أنهم خلق الله تعالى، يحكمهم شرعه القويم .

إن النصح واجب على المسلم تجاه كل الأفراد في مجتمعه، مما يربطه برباط الأخوة الواحدة، بل يلزمه بواجب النصح حتى فيما يخص ضمان سلامة دينه ومعتقداته ومقدساته، في مقدمة ذلك نصحه الله تعالى، ببيان ما له عز وجل على العبيد من حقوق العبادة والطاعة وشكر النعم، وبيان ما لرسوله ﷺ من حقوق الطاعة واتباع وتأسٍ واقتداء، وبيان ما لعامة الناس من وجوب بذل النصح بحسب طاقة المرء ومكانته في مجتمعه، وبيان ما لولاة الأمر من حق الطاعة؛ والنصح قدر الإمكان .

وبهذا يكون قد حمى البشر من كل موبق، ومهلك، ومفسد، حين أقام دنياهم على جملة من التنظيميات، والعلاقات، والروابط الحسنة، والتعاليم القيمة .

الخبر العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

٩- التنمية الاقتصادية . حين أورد جملة من الآيات التي تكلمت عنها، ليؤسس للأمة المسلمة كياناً اقتصادياً قوياً، من خلال بناء اقتصاد مستقل يعينها عمن سواها، فلا تكون خاضعة لأحد، ومن خلال الاستفادة الحقيقية المطلوبة من عصب الحياة وشريانها، ألا وهو المال . ومنهج حق لا بد له من تناول عصب الحياة وشريانها، بكافة التشريعات والتعاليم، التي يقيم بها تعاملات الناس، وتبادلاتهم التجارية فيما بينهم، على أساس واضح وإيجابي . كقوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١٨٨) . وقوله عز وجل في سورة البقرة : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ (٢٧٥) .

المنهج الوقائي علم الإنسان كيف يستعمل المال في أسباب ترقى حياته، وتنمية موارده، وتوفير ضرورياته، واحتياجاته، ووظف المال على أساس أنه وسيلة لبلوغ المراتد، وسبب لقضاء الاحتياجات، وليس غاية يركض خلفها كل مهووس، ضيق الأفق، قاصر التفكير، شحيح النفس، فاسد القلب، مجرد من القيم والمبادئ .

وربط حياة البشر بالمال، وجعله بينهم دُولَةً، يتبادلها الجميع للانتفاع به، وليس للإضرار به، والاستبداد، والتسلط على الآخرين .

وحذر من سوء عاقبة استعمال المال في المحرمات، أو في الإفراط في المباحات، ونهى عن كل آفاته، من بخل، وشح، وأنانية، وانتهازية، واستغلال، واستغلال،

الخير العميم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

واحتكار، وتحايلات، كما خوِّف من وخامة منعه عن ذي الاحتياجات، من مستحقين له ومستفيدين منه .

وبهذا أراد أن يُعلم الغني أن للفقير في ماله حقاً؛ قرره الشارع الحكيم، ليس هبة من الغني ولا تطوعاً من لدنه؛ يسخره به، ويستميله، ويسترضيه، ليحصل التوازن في المجتمع على الوجه المطلوب، حين رتب مسألة المال على أساس احتياج كل طرف للآخر، لتكامل حركة الحياة فيما بين البشر، بكل مسؤولية، واهتمام، وبلا عبثية فيه، ولا تبديد لطاقاته، أو هدر لممتلكاته .

إن الله تعالى أباح للخلق عموم التعاملات المثمرة على الوجه الصحيح، ونهى عن كل تعامل مشبوهِ يحقق مصالح قوم على حساب آخرين، وهذا في حد ذاته نبذ لقيم الأنانية، والانتهازية، وحب الذات لدرجة الإضرار بالغير، وتقرير لكل تعامل مثمر من طريق مشروع، يحقق المصالح للجميع واقعاً، دون استغلال أو استغلال .

المنهج الوقائي الحق علم أن الانتفاع بالمال متى طال الجميع حصل الاستقرار المطلوب في المجتمع، ومتى كان حكراً على الأقلية منهم دون الأكثرية، حصل التنازع والتباغض في المجتمع، وما من مجتمع قام على مثل تلك التجاذبات المائلة المحففة، إلا تكبد خسائر لا حصر لها بين أفرادها، يشقى به الجميع، كلما طال العهد وتقدم الزمان .

١٠- الانضباط الإعلامي . حين أورد عدة آيات تكلمت عنه، ليعلم الناس كيف يتعاملون مع بعضهم بعضاً، في أجواء وأوضاع صحية لا بليلة فيها، ولا أراجيف، فتشيع في المجتمع عموم الفضائل، وتندحر عموم الرذائل، من خلال إرساء ضوابط لذلك، ومن خلال التحذير من عاقبة نقل الشائعات، وإطلاق الكلمة بلا قيود؛ إذ من غير المتوقع ألا يتطرق المنهج الحق للحديث عن الحركة الإعلامية، التي بها يبين

الخبر العظيم المنهج الوقائي في القرآن الكريم

ويبرز ويظهر مدى نفعيته، وأغراضه وأهدافه السامية . كقوله سبحانه في سورة النساء : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدْعَاؤُهُ بِهٖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ . وقوله جل جلاله في سورة الأحزاب : ﴿ لَئِن لَّمْ يَنْهَ الْأَمْنَفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ .

المنهج الوقائي وجه الحركة الإعلامية، لتقوم بدورها الفعال في المجتمعات؛ لأن فسادها يعني فساداً منتشرًا، وشرًا مستطيرًا، وحمى البشر من عواقب انتشار الخبر الكاذب، والقول المزيف، والنبأ الملقق، والدعايات المغرضة، والشائعات المضللة .

إن جُل فساد المجتمعات وشقائها جاء نتيجة إطلاق الكلمة، والتخوض في الأقوال، وترويج الشائعات، ونقل الأخبار من غير بينة، وهي ظواهر اجتماعية منبوذة، متى وجدت طريقها بين الأفراد، تفككت أواصر التآخي فيما بين المجتمعات، وهذا في حد ذاته مؤشر على إعلام فاسد، يضر المسلمين ولا ينفعهم، متى ضاعت الأمانة، وفقدت النزاهة، وتلاشى الإخلاص، وصدق القول، وما في ذلك من فساد عظيم؛ لمرفق مهم من مرافق المعرفة وركن من أركان التعليم .

وأراد لهم كل الخير، والنور، والهدى، حين أطرّ وقنن مسألة نقل الكلمة، ودعا لصدق إذاعة الخبر، وأمر بوجوب احترام القلم، وما فسدت المجتمعات إلا لما استخف الناس بحقيقة صدق الكلمة، ودور القلم، ومفعول الخبر، وكلها أمور جاء المنهج الوقائي الحق بما يضمن صحتها، وسلامتها من كل ما قد يشوبها، أو يؤثر عليها .

الخبر العظيم المنهج الوقائي في القرآن الكريم

١١- الاستعداد العسكري . بما أورد من آيات تكلمت عنه، ليعرف المسلمون كيف يحمون دولهم، وبينونها، فتتحقق هيبة الدولة المسلمة ومكائنها، من خلال إثبات وجودهم، ببناء دولة قوية، لها ثقل ومكانة فيما بين الأمم والشعوب، ومن خلال الاستعداد لكل ظرف، بحماية أطراف الدولة وحدودها، وبإظهار قوة دولة الإسلام .

لذا كان من المتحتم ولا ريب أن يحوي المنهج الحق كافة التعاليم العسكرية، التي بها يحفظ دولته لتقييم شرعه كما ينبغي . كقوله سبحانه وتعالى في سورة الأنفال : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كَلَهُ، لِلَّهِ ۖ ﴾ . وقوله عز شأنه وتبارك اسمه في سورة الأنفال : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ، عَدَّوْا لِلَّهِ وَعَدَّوْكُمْ ۖ ﴾ .

المنهج الوقائي علم الإنسان أن للدين الحق أعداء، وأن للدولة المسلمة مناهضين، ومتربصين، فجاء بكل ما يضمن حماية بلدانه وأراضيه، ويضمن سلامة شعوبه ورعاياه، من عموم النزاعات وأسباب الفوضى والفساد .

إن القوة العسكرية المحاربة كامنة في حقيقتها في الرمي، بكافة وسائله وجميع آلياته، وهذا في حد ذاته بيان ووصف لحقيقة الوضع العسكري الحالي بكافة آلياته الحديثة بالفعل، وأنه يجب على الأمة المسلمة الاستعداد لذلك قدر المستطاع، في كل زمان ومكان، وفي كل بقعة ومصر، وقطر وثمر، وصقع من أراضيه الممتدة، لتكون قادرة على حماية نفسها من أي اعتداء قد يهدد مصالحها أو يززع أمنها واستقرارها .

المنهج الوقائي أقام حياة البشر داخل الدول، في إطار الأمم والشعوب، وفي حيز البلدان والمجتمعات، فحمى البشر بذلك، حين جعل للدولة المسلمة من يقوم

الخير الحميم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

على حماية معتقداتها، ومقدراتها، وممتلكاتها، ويزود عن أراضيها، ويرد عنها كافة الاعتداءات والتدخلات .

ونظم حياة الدول والمجتمعات، والأمم والشعوب، وأقامها على أساس أنظمة وقوانين، مستمدة من الشرع الحكيم وتعاليمه القومية، لا منهج للخلق يحقق لهم الحياة المتوازنة السليمة، ويضمن لهم السلامة واستقرار الأوضاع واستتباب الأمن في الداخل والخارج، من كافة النزاعات وعموم التدخلات، حين أعطى ولاية الأمر فرصة التقنين في حدود وإطار الشرع المطهر .

١٢- الوقاية الطبية . بما أورد من آيات تكلمت عنها، لتسلم الأجسام وتصفو الأرواح، من خلال تطبيق منهج الوقاية قبل العلاج، ومن خلال معرفة كيفية التعامل مع الداء متى كان . ولا يمكن أن يتبادر إلى الأذهان أن المنهج الحق قد غفل عن الجانب الطبي، الذي به تكون سلامة الأرواح والأبدان . كقوله سبحانه

في سورة المائدة : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَّةُ وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُرْدِيَةُ وَالنَّطِيحَةُ ۗ ﴾ . وقوله جل عظمته في سورة

النحل : ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ۗ ﴾ .

إن الله تعالى جعل لكل داء دواء؛ وشفاء منه، فأمر جلت عظمته بالتداوي المشروع المباح، بما أحل من أدوية، ووسائل مشروعة، مباحة نافعة، ونهي عن التداوي محرم، وفي ذلك إشارة على أن الله جل في علاه لم يجعل الشفاء في محرم أبداً مهما كان، فوجب البعد عنه، وهذا في حد ذاته ولا ريب منهج معتدل، ووقاية، وحماية، وصيانة للمسلم، من كل ما قد يضر ببدنه أو روحه، ولو بأدنى ضرر محتمل قد ينشأ .

الخير العظيم لمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المنهج الوقائي أوضح أن الإنسان لا بد له من مقومات تحميه من العلل،
والعطب، والمرض، والسقم، والتلف، كي يقوم بدوره خليفة في الأرض .
ووفر للبشر كل ما يضمن لهم به صفاء الأرواح، وسلامة الأبدان، في ربط بين
الاثنتين، حين علق سلامة كل واحد منهما على سلامة الآخر، ولا سيما سلامة
الروح، التي بها يباشر الإنسان رسالته في الحياة على مراد ربه سبحانه منه .
وأباح كل ما يحقق للإنسان حفظ حياته على الوجه المعتاد السليم، بما لا ضرر
فيه ولا ضرار، ولا مضارة بأحد، وهو بكل حال منهج أصيل حوى ما علمه
الإنسان، وما لم يعلمه عن نفسه، وعن كيفية المحافظة عليها بوجه عام .
١٣- السلامة الغذائية . حيث ذكر جملة من الآيات التي تكلمت عنها، لتقوى
الأبدان، فتكون قادرة على القيام بأمور الله تعالى الشرعي منها، من خلال إظهار
المنهج المعتدل في ذلك، ومن خلال التحذير من سوء التعامل بإفراط، أو تفريط فيه
. كقوله عز وجل في سورة الأعراف : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
الْمُسْرِفِينَ ﴾ (٣١) . وقوله جل شأنه في سورة في الأعراف أيضاً : ﴿ وَيَحِلُّ لَهُمْ
الطَّيِّبَاتُ وَيُحْرَمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتُ ﴾ (١٥٧) .
والغذاء هو أولى أولويات الحياة الدنيا، فكيف لمنهج حق أن لا يتعاطاه على
الوجه المطلوب ؟ لذا كان الاقتصاد في الأكل والشرب والاعتدال، يعد رأس الحمية
وسلامة البدن، من عموم الأسقام والعلل والأمراض، كما أن السرف في ذلك
والتفريط، والشره، والنهم، أساس فساد الصحة البدنية، وما يتبع ذلك من فساد
الحالة النفسية، فكان الاعتدال في هذه الأمور، هو عين السلامة من عموم
الأمراض، والعلل، والأسقام .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المنهج الوقائي أباح للخلق كل حلال، يقيمون به صلبهم، مما أحل لهم من طبيبات الأرض، وخيراتها، ونعمها، وأنعامها، وثرواتها، ومحاصيلها، وحسبهم من ذلك المحافظة على حياتهم كما أراد ربنا جل في علاه، كل ذلك حين جعل القصد من أكل الطبيبات؛ العيش والمحافظة على الحياة، ولم يجعل الحياة لأجل الأكل، ومجرد الاستمتاع، والتلذذ وحسب . وحين علم البشر أن القوت هو سبب العيش الرئيس، فجعل الأرض ملاءى بالطيبات، الأمر الذي يسع عموم خلق الله تعالى من مآكل، ونعم، وخيرات، ووزع مواردها وخيراتها بين الخلق، بما يضمن استيعاب الجميع، لئلا يتقاتلوا فيما بينهم بسببها ولأجلها، فوجب تقاسمها فيما بينهم لا تجاذبها، والتنازع عليها .

وبهذا وفر كل أسباب القوت، وسبله، وجعل الطبيبات أكثر من المحرمات الخبائث، ومنع الشره، والنهم، والبطنة، ودعا لتذكر الفقير، والمحتاج، والمسكين، فربط بذلك بين كافة أفراد المجتمع المسلم، حين يذكر الغني أخاه الفقير، ويسعى القوي لأخيه الضعيف، فكان الغذاء أحد أربطة الدين، والمنهج الوقائي الحق، حين حنن قلوب الخلق بعضهم على بعض .

١٤ - النهضة العلمية . حين أورد آيات تكلمت عن العلم، لتنهض الأمة به، وتبني حضارتها، وصروحها على منهج حق، ونور، مبين، من خلال إظهار مدى قيمة العلم في حياة الفرد، ومن خلال الأمر بوجوب الاهتمام والعناية به، ليكون علماً نافعاً؛ لأنه منهج حق قام على أساس العلم ومعطيته . أراد أن يربط البشر بالعلم؛ لأن الجهل سبيل الضلال، وطريق الظلام، وسبب لكل فساد، وفسوق، وضياع، وتوهان . كقوله جل في علاه في سورة الزمر : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمُونَ إِنَّمَّا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٩) . وقوله تقديس اسمه في سورة المجادلة :

الخبر العظيم لمنهج الوقائي في القرآن الكريم

﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾



إن العلم هو طريق الجنة في الآخرة، وهو طريق الرقي والنفع والرفعة في الدنيا، والشرع المطهر جاء أمراً بطلب كل علم نافع، سواء كان علماً شرعياً دينياً، أو دنيوياً من سائر العلوم الحديثة، التي أثبتت نفعيتها في المجتمع، مما تقوم به وعليه حياة الناس في دنياهم، وبهذا وظف المنهج الحق العلم تمام التوظيف، في كل ما من شأنه رفعة البشر، على أرض الواقع، ضارباً عرض الحائط بكل جهل، وتخبط، وخيال، وعشوائية لا حقيقة لها ولا قيمة .

لذا أراد أن يعلم الإنسان أن الدين الحق لا يمكن أن يقوم على الخرافة، والبدعة، والضلالة، والجهالة، بل لا بد له من سبيل يقود إليه، فكان العلم .
وبيّن أن العلم هو الركن الركين لهذا الدين الحق، دين العلم، والنور، والهدى، والرشاد، دين رفع شأن كل عالم وشرفه، وفضله، وقدمه على من سواه، وكل شعوب الأرض تتفاخر بعلومها، ويمدى تميز حضاراتها عن غيرها، رغم كونها علوماً قاصرة عن إدراك منتهى الكمالات، لكن المنهج الوقائي الحق جاء بعلم الدين والدنيا معاً، داعياً وساعياً إلى حيث الرفعة والكمالات، وغايات المعالي، والنفع الشامل للجميع، الذي لا مضارة فيه ولا تسيد، أو تسلط أبداً، علم يهذب السلوك، ويقوم النفوس، ويصقل العقول، ويصلح القلوب، وهو بكل حال متاح للجميع ليس حكراً على أحد أبداً، منهج وقائي علمي رصين .

١٥- الانطلاقة الدعوية . حين أورد عشرات الآيات التي تكلمت عن الدعوة، ليين معالمها، ويوضح أهدافها ومقاصدها، التي يحاول الداعية جاهداً بلوغها، والوصول إليها وإدراك أهدافها . كقوله جل في علاه في سورة آل عمران :

الخير العظيم المنهج الوقائي في القرآن الكريم

﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١٠٤) . وقوله تعالى شأنه في سورة النحل : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُمِ الْبَاتِئِنَ حَتَّىٰ أَحْسَنَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (١٢٥) .

المنهج الوقائي أظهر مدى أهمية الدعوة في حياة البشر، حين أبرز أن القيام بها معول مهم من معاول بقاء تعاليم الدين الحق باقيةً بين الناس .
ووضع أسس الانطلاقة الدعوية الصحيحة، حين أرشد لكل ما يحقق ذلك، من مفاهيم، وقيم، ومبادئ، تحقق منهجها المجدي المؤثر في المدعويين، لتؤتي ثمارها من نتائج مرجوة .

وقيد الدعوة بقيود، وضبطها بضوابط، كي يضمن سلامة المنهج الدعوي، وخلوه من أدنى فكر منحرف قد يؤثر في مجال الدعوة، أو يضر به .
تعتبر الدعوة إلى الله تعالى مهمة الأنبياء عليهم السلام الأولى، وهي ملقاة على عاتق كل مسلم، بحيث يتوجب عليه القيام بمهمة الدعوة، على قدر إمكاناته ومؤهلاته، على الأقل على من يملك أهلية الدعوة فيهم، كالأسرة والأهل والأقارب؛ لأن الدعوة تهدف في الأصل لإقامة شرع الله تعالى، كل من مكانه، وحسب استطاعته، وبقدر الممكن والمتاح له .

المنهج الوقائي الحق أراد من عموم الخلق أن ينظروا للقواسم المشتركة فيما بينهم، ليتعايشوا إخوة في الإنسانية، التي جمعتهم في نسيج أممي واحد، وحينها فقط تستطيع الأمة المسلمة القيام بواجب الدعوة، وتبليغ الرسالة المحمدية، وإيصال دين الله تعالى لعموم الخلق، لتطال الدعوة عموم أصقاع الأرض، أمماً، وشعوباً،

الخير العظيم لمنهج الوقائي في القرآن الكريم

ومجتمعات . ذلك هو مفهوم الرحمة المهداة للخلق، وهو محمد ﷺ بما جاء به من دين حنيف، وشرع قويم، خاطب به عموم الثقلين، وإلى قيام الساعة، مراعيًا تحقق المصلحة منها والمنفعة فيها، محاولاً البعد عن المفسدة والتحرز من الوقوع في المضرة، التي قد تنشأ .

وهكذا تبين أن القرآن الكريم هو بالفعل منهج وقائي تام، تضمنت آياته، وتعاليمه، وحدوده، وأحكامه، بوجه عام، لكل ما من شأنه تحقيق عموم المصالح والمنافع، كما تضمنت كل ما من شأنه النهي عن عموم المفسد والمضار . وبذلك يتحقق إقامة شرع الله تعالى كما أمر سبحانه وتعالى على الوجه المطلوب، من خلال المنهج الوقائي المتضمن الشرع القويم .

وبهذا يكون القرآن الكريم قد تكلم عن جملة الفوائد الدنيوية، المتحققة للخلق، جراء تطبيق منهجه الوقائي، والذي بدوره سيجعل الإنسان يقيم حياة سعيدة ينعم فيها . وهذا يعني أن الإنسان كلما أقام المنهج الوقائي، ازداد نعيمه في حياته، وجنى الثمار الطيبة من ذلك، وصدق سبحانه وتعالى القائل في آيات عديدة من كتابه

العزير : ﴿ وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ . والفلاح ولا شك هو مطلب كل مسلم، وقد رتبته الله عز وجل وبناءه على مسألة التمسك بدينه الحق، وإقامة شرعه الصدق، وذلك لا يكون إلا بالتقوى التي بها تتحقق معية الله تعالى لخلقه، وصدق جل في علاه القائل في محكم كتابه العزيز في سورة البقرة : ﴿ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (١٩٤) .

وإجمالاً ! فقد تحقق بهذا أن المنهج الوقائي القرآني يعد صلب هذا الدين الحق، وقوام روح تعاليمه بوجه تام، في كافة جوانب الدين، وهذا في حد ذاته وقاية له من أمراض القلوب، والعقول، والنفوس، ووقاية له من أمراض الأبدان، والأجساد،

الخير العميم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

والجوارح . لماذا ؟ لأن شرع الله تعالى حقق بالضبط النفع للجميع، من غير أن يتطرق الضرر، أو الأذى، والفساد، لأي طرف من الأطراف .

فليس في شرع الله تعالى نفع فرد على حساب الآخر، وإنما هو نفع شامل أكيد، يخص الفرد بوجه ضيق، ومن ثم يتسع فيشمل الأسرة، وهكذا يتسع ويتسع حتى يشمل كل فرد وأسرة؛ فيعم المجتمع بوجه عام .

وهكذا ! حقق القرآن الكريم مفهوم المنهج الوقائي بكلياته وتفصيلياته، من خلال اعتنائه بكل نواحي الحياة المادية أو المعنوية، في رباط وثيق لا ينفك عن بعضه بعضاً .

تكاملت تشريعاته وتعاليمه، فكان رحمة واسعة من الله تعالى تفضل به على عباده، شرعه وأمر بالأخذ به، ينظمون به حياتهم، ويضبطون بتعاليمه معيشتهم وتصرفاتهم؛ حتى لا يشقى الخلق في دنياهم، في ظل فوضى عارمة، وانفلات قيمي، وانقسامات متناحرة، لا حدود لها، منهج وقائي متكامل تام، بين أن الوقاية مفهوم عام، شمل كل نواحي الحياة، وليس مجرد مفهوم جاء ليعالج جزئية، أو قضية ما وحسب .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

الفصل الثاني : مجالات المنهج الوقائي في القرآن الكريم :

وفيه خمسة مباحث :

- المبحث الأول : حفظ العقل .
- المبحث الثاني : حفظ الدين .
- المبحث الثالث : حفظ النفس .
- المبحث الرابع : حفظ العرض .
- المبحث الخامس : حفظ المال .

توطئة :

جاء في القرآن الكريم كافة مقاصد الشريعة الإسلامية على رأسها حفظ الضرورات الخمس وهي : حفظ العقل، والدين، والنفس، والعرض، والمال . كل مقصد من تلك المقاصد، تناوله القرآن الكريم بعناية تامة، وأبرز كل ما من شأنه ضمان وقاية الإنسان بالدرجة الأولى، ومن ثم سلامته، وتلبية حاجياته وضروريات حياته . وسيظهر ذلك خلال هذا الفصل .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المبحث الأول : حفظ العقل :

العقل هو محل الإدراك، ومحور الأفكار، ومركز التفكير؛ والاختيارات بين البدائل، والممايزة بين الأمور عند الإنسان، ومن خلاله يدرك الفرد كل ما حوله^١. وقد أعطاه الله تعالى تلك القدرة ليفرق بين الحق والباطل، والخير والشر، والهدى والضلال . وقد جاء الأمر بحفظ العقل في عموم الشرائع السماوية، والله سبحانه لم يكلف الإنسان إلا بعد تمام عقله، وأهليته الأهلية الكاملة؛ لأن العقل متى فُقد؛ سقط التكليف مباشرة، كسقوطه عن الصغير والمجنون .

بل إن العقل متى وقع تحت طائلة الإكراه، أو الإضرار، سقطت عنه مؤاخذه التكليف مباشرة بذلك الطائل، قال تعالى في سورة النحل : ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾^(١٠٦) . فإذا سقط الكفر بالإكراه فما سواه أسقط ولا شك .

لذا جاء في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (إن الله قد تجاوز عن أمتي الخطأ، والنسيان، وما استكروها عليه)^٢. وقوله ﷺ في الحديث النبوي الشريف الآخر : (رفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المجنون حتى يعقل أو يفيق)^٣.

^١ الشعراوي . تفسير . ج٩، ص٥١٥٨ . قال : "والقلب هو محل القضايا التي انتهت من مرحلة التفكير العقلي، وصارت قضايا ثابتة لا يبحثها العقل من جديد" .
^٢ رواه ابن ماجه، (٢٠٤٣) . وصححه الألباني من سنن ابن ماجه .
^٣ رواه أبو داود، (٤٣٩٨ و ٤٤٠١-٤٤٠٣) . الترمذي، (١٤٢٣) . النسائي، (٣٤٣٢) . ابن ماجه، (٢٠٤١) .

الخير العميم لمنهج الوقائي في القرآن الكريم

وقد ذم الله تعالى كل من صم أذنيه عن سماع صوت العقل، وأعرض عنه، بقوله جل في علاه في سورة الأنفال : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٢٢) . إذن إلغاء العقل يعني إلغاء معالم الفطرة المطمورة في الإنسان .

وقد حوت آيات القرآن الكريم في مجملها؛ كل وظائف العقل ومهامه، ليعي المرء كل ذلك، ويدرك المقصد العام، ويعرف مراد الله سبحانه منه . فحفظ له كل ما يجعله يقوم بوظيفته الأولى، ومن ثم حفظ به كل ما يحقق ذلك ويؤيده . وقد كان حديث القرآن الكريم عن العقل وما يخصه بوجه عام، من ناحيتين

اثنتين، سأتناولها في مطلبين اثنين :

المطلب الأول : مظاهر حفظ العقل .

المطلب الثاني : مقاصد حفظ العقل .

الخير العظيم لمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المطلب الأول : مظاهر حفظ العقل :

عنيت تعاليم القرآن الكريم بحفظ العقل من كل عطب، وأحاطته بجملة من القيود والضوابط، التي تضمن الحفاظ عليه من الانجراف خلف أي من الانحرافات، والشطحات، والآراء، والأفكار، والوسوس .

لذا نجد أن القرآن الكريم في حديثه عن العقل قد وضع له منهجاً يسير عليه، لا وجود لمنهج أفضل منه، ولا أحسن، حماية لقدراته، وطاقاته، وإمكانياته، ضمن له بذلك الوقوف على مراداته؛ والسلامة من المهالك ومواطن العطب، ولم يكلفه إلا بعد تمام رجحانه، حينها كلفه بالتشريع، وخاطبه بالمقاصد والمرادات .

المنهج الوقائي في تشريعاته لم يلزم الإنسان به إلا بعد تجاوزه مرحلة التمييز، التي خلالها يكمل عقله، ويرشد فكره، ويبدأ يفرق بين الأمور، ويحسن الاختيار بين البدائل، رُشد حينها القرآن الكريم الإنسان، من خلال إرسائه مفاهيم، وقيم، ومبادئ، وضوابط، وقيود، أرادها أن ترسخ في العقل في سن جوهري مبكر فتصبح من أولوياته المسلمم بها التي لا يجيد عنها . وأهم تلك المظاهر :

١- قيده بالعقلانية ودلالاتها، وأمره بالتعقل في كل أموره، وجعل ذلك دليلاً له على كل خير، وبر، وحق، ونور، ورشد، وهدى، وفي الوقت نفسه عصمة له من كل زيغ، وضلال، وانحراف، وفساد، ومنكر، وباطل، وسوء، قال تعالى في سورة

البقرة : ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٢٤٢) .

٢- حفظ له مكانته المادية، وحرم عليه كل ما من شأنه أن يضر به، أو يذهب، ولو لوقت قصير، يسقطه في الخبال والهذيان؛ لأن ذلك يعني غاية التعدي عليه، ومخالفة مراد الله تعالى منه، حين جعله أساس التكليف، والوعاء الصالح لتلقيه؛ وذلك لا يتأتى إلا بحضوره، والمحافظة عليه، قال سبحانه في سورة المائدة : ﴿ يَا أَيُّهَا

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحُمُرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَأَجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ .

٣- رفع عنه الحرج متى أضر أو أكره على شيء؛ لأن الحرج مانع له من القيام بوظيفته، على الهيئة السليمة، قال تعالى في سورة النحل: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ .

٤- سلّحه بفطرة سليمة مطمورة فيه، فطر الله تعالى عليها كل الخلق، دالة إياهم على طريق الحق، والهدى، والنور، ما لم تتعرض لتغيير وتبديل قال تعالى في سورة الروم: ﴿فِطَرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا نَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ .

٥- زوّده بالشعور والحس، ليوقفه على الحق، ويوقظه من غفلته، بشد انتباهه لكل ما يرى ويسمع؛ لكل ما حوله، من مشاهدات كبرى في الكون، ومن مظاهر قدرة ربانية مطلقة، كقوله جلت قدرته في سورة البقرة: ﴿إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ .

٦- دَعَّمَهُ بدلالة الوعي ولفت النظر، لما يجب أن يلتفت إليه، وحذره من قلة الوعي، وضيق الأفق، والتغافل عن الحق، كقوله تعالى في سورة يونس: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ . دعوة للعقل لينظر ويعتبر .

الخبر العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

٧- غرس فيه دلالة البصيرة، والتبصر، تهدية للحق، وتعيينه على القيام على أتم وجه وأحسنه بوظيفته التي وجد لأجلها، كقوله تعالى في سورة الذاريات : ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (٢١) . بعين البصيرة قبل عين البصر .

٨- جعله حكماً على نفسه، وأقواله، وأفعاله، ليقف على الحق بذاته، من غير أن يؤثر عليه أحد؛ متى أنصف نفسه من نفسه، كقوله تعالى في سورة الأنعام : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٥٠) .

٩- أمده بذاكرة تذكره، وجعل المؤمنين الخاشعين أول المنتفعين بها، لما عندهم من رصيد إيمان، يدهوعم للتذكر، ولإعمال عقولهم في ذلك؛ أكثر من غيرهم ممن لا إيمان له، أو ممن ضعف إيمانه قال ربنا تبارك وتعالى شأنه في سورة الذاريات : ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ نَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٥٥) .

١٠- جعله مهياً لتقبل الحق، متى صفى ذهنه، من المؤثرات الخارجية التي عليه، وأنصت لصوت الحق الذي بداخله، قال تعالى في سورة سبأ : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْطَمْتُ بِوَجْدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ شَيْءٍ وَفِرَادَىٰ تُنْفَكُّرُونَ مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ ﴾ (٤٦) .

١١- حذره من وخامة الحكم الجائر، متغافلاً عن الحق، متجاهلاً صوته، منكرًا إياه، غير مفرق بين الحق والباطل، رغم كونه مزوداً بدلالة التفريق بين المتناقضات، والمتباينات، قال تعالى في سورة الجاثية : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً لِحُكْمِهِمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (٢١) .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

١٢- خوفه من عاقبة التعامي، وصم الأذنين عن سماع صوت الحق الذي بداخله، الدال على مراد الله تعالى منه، قال سبحانه في سورة الكهف: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ . ﴿٥٧﴾

١٣- بين له عاقبة الانسياق خلف غيِّه، في ركاب الغفلة والضياع، وإلغاء دلالات الفكر السليم، والمنطق الصحيح قال تعالى في سورة يونس: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴾ ﴿٧﴾ .

١٤- أمره بالسير في الأرض، ليعتبر بمنازل الهالكين من قبل، ممن كفر وجحد، وأنكر وأشرك، فيعمل فيها النظر، حتى لا يلاقي ذات المصير الأليم، وكفى بذلك تخويفاً له، وتحذيراً من الوقوع في مثله، قال تعالى في سورة النحل: ﴿ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ ﴾ ﴿٣٦﴾ .

١٥- لفته للنظر في مشاهد القدرة الربانية، والمظاهر الكونية، ولسماع صوت الحق، الذي يؤيد ما بداخله من حقائق يمر بها، على اعتبار أن السمع وسيلة للإدراك والتعقل، قال تعالى في سورة القصص: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ ﴿٧١﴾ .

الخير العميم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

١٦- أمره بالاعتبار بالحوادث، والوقائع، ومجريات الأمور، وما يجري عليه من أقدار
قال تعالى في سورة آل عمران : ﴿ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ



وهكذا تبين أن القرآن الكريم اعتمد في كل خطاباته على مسألة العقلانية
لدى الإنسان، وأنها متى فقدت سقط التكليف عنه، جملة وتفصيلاً . فكان ولا بد
من حفظ العقل ليقوم بما أمره الله تعالى به على أتم وجه وأحسنه .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المطلب الثاني : مقاصد حفظ العقل :

خاطب القرآن الكريم العقل بكل وظائفه^١، وبمختلف الأساليب، والصيغ، والألفاظ، ليفهم ويعي، ليكون قادراً على تلقي شرع الله سبحانه، ومن ثم يطبقه في حياته، فيتحقق بذلك؛ المنهج الوقائي تماماً، حين يسير المرء على منهج خالقه العظيم، ودينه القويم، وعلى نور من ربه جل ربنا في علاه .

وقد مايز القرآن الكريم في تلك الأساليب، والسياقات، والألفاظ، والعبارات، ليستحث العقل، وليوافقه في كل أحواله، وحالاته، فلا يجد العقل حينها مساعاً للتكذيب، أو التشكيك، أو التغافل، أو الإعراض، أو الاعتراض .

وبهذه الطريقة رسم حديث القرآن الكريم للعقل طريقاً قوياً، وصراطاً مستقيماً له، متى سار عليه، كما حفظ عليه كل قدراته وطاقاته، ليستعملها في الخير، وفيما أنيط به ووجد من أجله . وفي الوقت نفسه حماه، وضمن له السلامة من كل أدوائه، ومنع عنه كل الأسباب المؤدية إلى ذلك، من أي طريق كان، ببيان سبيل الحق، والنور، والهدى، والخير، والرشاد، بما لا يدع مجالاً للشك أو الريبة فيه .

ولهذا جاءت كل خطابات القرآن الكريم متضمنة بيان الله جل في علاه، لمسألة فهم العقل لذلك البيان الإلهي، ومن ثم الانطلاق نحو تنفيذ ما أمر به بكل وضوح، حين :

١- أقام به الدين الحق، حين رتب الأمر بعموم التكليف على سن البلوغ، وقت إدراك المرء مرحلة كمال الأهلية^٢؛ ولا تكليف لمن فقد عقله، أو لمن لم تكتمل فيه الأهلية الشرعية؛ لتلقي التكليف، وقد أعطى سبحانه العقل فترة كافية لينضج قبل

^١ في سياق الكلام كناية، والمقصود : أن القرآن الكريم خاطب أهل العقل، وليس العقل .

^٢ تتحقق كمال أهلية الأداء ببلوغ الحلم عقلاً .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

البلوغ، ولم يحاسبه إلا بعد كمال رشد، ويتهيأ ليكون صالحاً للقيام بوظيفته، التي كلفه الله تعالى بها قال سبحانه في سورة النور: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِذُوا كَمَا أَسْتَعِذْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۗ﴾ (٥٩).

٢- صقل^١؛ به الفكر، حين وضع فيه قيوداً كثيرة، تضبط حركة تفكيره، من الانطلاقات المفرطة، والخيال، والشطحات، وجميع الانحرافات، التي لا ضوابط لها، وهي قيود المنطقيات^٢، والبدهيات^٣، والمسلمات^٤، والأولويات^٥، العقلية التي لا ريب في دلالاتها على الحق، بكل وضوح، لكل من وقف عند حدودها قال جل ربنا في علاه في سورة البقرة: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۗ﴾ (٤٤).

٣- نظم به الحياة المعيشية؛ حين شرع الحدود، وأمر بها، وبين أن ذلك من صفات أولى الألباب، قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۗ﴾ (١٧٩).

٤- قوّم به النفس، حين استحث العقل لما كان يجب أن يفقهه بذاته، من حقائق واضحات، ظاهرات بينات، قال سبحانه وتعالى في سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ الَّذِي

^١ مجمع اللغة العربية . المعجم الوسيط . ج ١، ص ٥١٨ . "صقل كلامه هذبه وثمقه" .

^٢ المنطق : علم يعصم الذهن من الخطأ، يعتمد على التفكير السليم .

^٣ البدهي : الذي لا يحتاج إلى نظر أو دليل .

^٤ المسلمات : قضايا تسلم من النقاش، يتفق عليها الجميع .

^٥ الأوليات : ما يجزم بها العقل بمجرد تصورهما .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ

﴿ ٩٨ ﴾ .

٥- حفظ به المال؛ حين رتب مسألة العطاء، والتصرف الرشيد فيه، على إيناس الرشد، وبلوغ النضج من العقل، ليكون مسؤولاً عن كل تصرفاته قال تعالى في سورة النساء: ﴿ وَأَبْنُوا لِلنَّامِيِّ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا ﴾ ﴿ ٦ ﴾ .

٦- وقى به العرض؛ حين أمر بوجوب صيانه، وبيّن له منافع ذلك، والمصالح المترتبة عليه، وحين أظهر له مفسد امتهانه، وأخطار ضياعه، وخوفه من عواقب جريمة الزنا، ومقارفة الفواحش، والوقوع في المنكرات بأنواعها، فالعقل أحفظ لعرضه وله أصون، قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ ﴿ ٣٢ ﴾ .

٧- ضمن الله تعالى للعبد الفوز بالآخرة؛ حين وضع له أن طريق النجاة، والعبور إلى الآخرة، وحين بيّن له أن الدنيا دار ممر، وهي مزرعة للآخرة، فحذر من الركون إليها، ونسيان الهدف والمقصد الرئيس من وجود الإنسان فيها، قال جل في علاه في سورة الأنعام: ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَنْقُونَ أَفْلا تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿ ٣٢ ﴾ .

وبهذا اتضح أن كل خطابات القرآن الكريم وجهت لأهل العقل؛ لأن به حفظ كل الضرورات الأخرى، وبفقدته تضيع ولا ريب كل الضرورات .

الخير العميم لمنهج الوقائي في القرآن الكريم

وتبين أن القرآن الكريم حين تحدث عن العقل، تحدث عنه من خلال المواقف الصادرة عنه غالباً، أو التي تبين الخلل، والقصور، في إحدى وظائفه؛ التي بنى عليها القرآن الكريم الحكم عليه؛ من كونه لا يعقل، لا يتفكر، لا يتدبر، لا يفقه، لا يتذكر، وهكذا !

ومن خلال ما تقدم اتضحت لنا مظاهر حفظ العقل ومقاصده، في المنهج الوقائي القرآني، وفي ذلك بيان لغاية عناية الله تعالى به .

الخير العظيم لمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المبحث الثاني : حفظ الدين :

- . المطلب الأول : العقائد .
- . المطلب الثاني : التشريع .
- . المطلب الثالث : الأخلاق .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المبحث الثاني : حفظ الدين :

الدين^١، هو المنهج السماوي الرباني القويم لعموم الخلق، الذي به نزل القرآن الكريم، ليعرف الخلق شرع ربهم سبحانه وتعالى الذي فيه .

ومن الأولويات التي جاء بها القرآن الكريم بكلياته، وتفصيلياته، أنه جاء ليرسي قواعد هذا الدين على مراد ربنا جل جلاله، في منهج متكامل، ارتضاه عز وجل لعموم خلقه، تحقيقاً لقوله تبارك وتعالى في سورة المائدة : ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ**

لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ .

وبهذا كان القرآن الكريم جملة وتفصيلاً، منهجاً وقائياً تاماً، من أولوياته التي جاء بها، إرساء مفهوم الوقاية بصفة عامة .

يأتي في مقدمة ذلك تحقق الوقاية في الجانب الديني؛ من خلال حفظ الدين وسلامته؛ لأنه قوام المسلم في حياته الدنيا والأخرى .

فحفظ الدين يسلم الفرد في حياته، وتنظم حركة العباد فيما بينهم، وفي مجتمعاتهم . ويعرف كل واحد منهم، كيف يعبد ربه سبحانه وتعالى على بصيرة من أمر دينه .

وحين تحدث القرآن الكريم عن مسألة حفظ الدين، فصلّ الحديث وتوسع ليحيط بكل جزئياته، مما يحتاجه المسلم، والتي قد تدور بخلده، محاولاً فهمها، وجزئيات الدين كثيرة كما تبين . لذا مايز القرآن الكريم في تناولها، بحسب مدى الاحتياج والأهمية .

^١ الدين : ما يعتقد المرء، والدين السماوي : المنهج الإلهي الذي جاء به الرسل عليهم السلام .

الخير العميم لمنهج الوقائي في القرآن الكريم

وقد ورد في القرآن الكريم جملة العلوم الدينية، والدينية، النافعة للخلق، وجعل

جماع ذلك إلى ثلاثة محاور . سأتناولها خلال ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : العقائد .

المطلب الثاني : التشريع .

المطلب الثالث : الأخلاق .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المطلب الأول : الحديث عن العقائد¹ :

في هذا المجال تحدث القرآن الكريم عن كل ما يخص أمور العقيدة والتوحيد، بادئاً بكل ما يتعلق بالله تعالى، من كونه هو الرب، الخالق، الإله، المعبود، الرازق، المحي، المميت، الذي بيده ملكوت كل شيء، وله مطلق القدرة، في هذا الكون، وله مآل كل شيء، وهو الذي شرع الدين القيم للخلق، ليعبد على حق كما أمر سبحانه وتعالى .

ثم يذكر كل ما يتعلق بأمور العقيدة الأخرى، لترسيخ معالم الإيمان، وتقوية جانبه، وإرساء الجانب الوقائي الصحيح، لكل ما يحفظ به الدين، مبتعداً عن كل ما قد يوجد الوهم، أو يولد سوء الفهم، حتى لا يقع الناس في أدنى حرج من أمر دينهم، وحتى لا تختلط الأفهام، فتلتبس عليهم قضايا العقيدة والتوحيد وحقائقه، التي يجب أن تكون واضحة بينات . في إرساء أصولها؛ مع بيان ما يتوجب بيانه في مقامه، حتى لا تلتبس على العباد، أمور عقيدتهم .

القرآن الكريم أفاض الحديث عن العقائد مبيناً كل دقائقها، ليبين حقيقة الأمر، ويرد على كل شبهة باطلة، وادعاء كاذب . وإجمالاً فقد دار حديث القرآن الكريم عن العقائد حول ثلاثة محاور :

المحور الأول : الحديث عن الله جل في علاه : في هذا المحور تناول القرآن الكريم كل ما يخص ربنا جل جلاله، من أسماء وصفات، وقدرة مطلقة، تبين عظم الله عز وجل، وعظيم قدره، ليتبين للخلق جميعاً، حقيقة أمر خالقهم بما لا مرية فيه، وليعرف الجميع من هو ربهم جل جلاله، فيؤمنوا به حق الإيمان على بصيرة من أمرهم .

¹ العقائد : هي الأمور التي يجب أن يصدق بها القلب حتى تصبح يقيناً فيه لا يخالطها شك .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المنهج الوقائي عرّف بواجب الوجود سبحانه وتعالى، ليقى الإنسان من حيرة البحث عن موجد الكون، وليقفه على مراد الله تعالى منه، والحكمة الأصيلة من قضية الوجود في الدنيا، حين :

١- بدأ الحديث عن مسائل العقائد، بتوحيد الربوبية^١، لإرساء ما يخص الرب سبحانه وتعالى، من أنه الخالق العظيم، جل ربنا في علاه، رب كل شيء لا سواه، في آيات كثيرة منها قوله عز وجل في سورة الدخان : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي

وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ .

٢- تناول الحديث توحيد الألوهية^٢، وأنه سبحانه الإله الحق، المستحق للعبادة، في آيات كثيرة منها قوله تعالى في سورة يوسف : ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ .

٣- ذكر أسماء الله تعالى وصفاته فقال سبحانه في سورة الأعراف : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ .

وقد بيّن سبحانه حقيقة مدلولاتها، بأنها تليق به تعالى شأنه، فقال عز وجل في

سورة الشورى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ .

٤- أظهر أن الكون بما فيه هو خلق لله تعالى فلا قادر، ولا مدبر، ولا متصرف، فيه سواه سبحانه، في آيات كثيرة من كتابه العزيز . كقوله جلّت قدرته في سورة

^١ توحيد الربوبية : هو إفراد الله عز وجل بأفعاله كالخلق والرزق والتدبير، إذ لا خالق إلا الله تعالى .

^٢ توحيد الألوهية : وهو إفراد الله تعالى بأفعال العباد، فهو المستحق للعبادة هو الله تعالى سبحانه .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

الزمر : ﴿ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ .

٥- بين أن مسألة الإحياء والإماتة أمر بيد الله تعالى وحده، لا قادر على ذلك سواه، وآجال العباد عنده، لكلٍ منهم أجله المحتوم، في آيات كثيرة منها قوله سبحانه في سورة الحج : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ . والآيات التي تكلمت عن الموت كثيرة ومستفيضة، جملة منها تكلمت عن مسألة إحياء الخلق من العدم، وجملة من الآيات تكلمت عن مسألة قدرة الله عز وجل على إعادة الخلق بعد إماتته .

٦- أوضح أن الرزق بيد الله سبحانه، وله في تقسيمه عز وجل حكمة بالغة، لتقوم حياة الناس فيما بينهم على أساس التكافؤ والاحتياج، لبعضهم بعضاً، في آيات كثيرة كقوله تعالى في سورة هود : ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ .

٧- ربط الهداية بنوعيتها بالله عز وجل، وهما هداية الإرشاد؛ والبيان للمنهج الحق، وهداية التوفيق والمعونة على قبوله والأخذ به، في آيات كثيرة منها قوله تعالى في سورة الإسراء : ﴿ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضِلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُم أُولِيَاءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبِكَمَا وَصَّمَا مَا وَنَهْمُ جَهَنَّمَ كَمَا خَبَتَ رُذُنُهُمْ سَعِيرًا ﴿١٧﴾ .

وبهذا تبين أن القرآن الكريم تحدث عن الله تعالى، وعن أسمائه وصفاته، ليعلم البشر جميعاً حقيقة ربهم الخالق، ومعبودهم المشرع، بما ورد فيه .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المحور الثاني : النبوة والرسالة :

حوى حديث القرآن الكريم في هذا المحور مجمل ما يخص الأديان، والنبوات، والرسالات السابقة^١، حين عرض جانباً من قصص الأنبياء عليهم السلام، مبيناً أهم الأحداث، التي من خلالها ظهر جانب كبير من جوانب الوقاية، ثم جاء التوجيه المناسب لكل قوم أعرضوا عن مراد الله تعالى .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : "فالسعادة هو أن يكون العلم المطلوب هو العلم بالله وما يقرب إليه - إلى أن قال - ما أخبرت به الرسل فالعلم الحق هو ما أخبروا به والإرادة النافعة إرادة ما أمروا به"^٢.

ومجمل ما جاء به الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، يدور حول كل ما يخدم المجال الديني الدعوي عامةً، والمجال الوقائي من حيث الخصوص، الذي جاء به خير خلق الله تعالى، وهم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ليأسي بهم الناس، وليحذروا من مغبة الانحراف عن العقيدة الصحيحة، حيث :

١- جاء حديث القرآن الكريم عن الدين معيّنًا له؛ مؤكداً على كل ما جاءت به الأديان السماوية، من حقائق التوحيد، والنبوة، مظهراً بطلان ما سواه، ومدى

انحراف أتباعها عنها، قال تعالى في سورة آل عمران : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ

الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ

بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ .

^١ الرسول : كل من بعثه الله تعالى ليبلغ دينه للخلق .

^٢ ابن تيمية . النبوات . ط ١، دار الكتاب العربي . ص ١٤٧ .

الخبر العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

٢- أكد حديث القرآن الكريم على وجوب حماية حياض الدين الحق، بوجوب الإخلاص فيه لله سبحانه والانقياد التام له عز وجل فقال تعالى في سورة الأنفال :

﴿ وَقَنِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ

أَنْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ .

٣- غرس كل ما من شأنه أن يؤسس اليقين في القلب، لبلوغ تمام الإيمان، والتحذير من سوء عاقبة الشك والريبة فيه، فقال تعالى في سورة الحجرات : ﴿ إِنَّمَا

الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ .

٤- بيّن جملة أركان الدين، المعروفة بأركان الإيمان، التي تبني عليها مقتضيات

العقائد، فقال تعالى في سورة النساء : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ءَ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ ءَ وَمَنْ يَكْفُرْ

بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ ءَ وَرُسُلِهِ ءَ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ .

٥- بيّن حقيقة القدر، وأن كل ما يجري على الإنسان في دنياه، إنما هو من عند الله تعالى قدرًا وقضاءً؛ ابتلاء منه سبحانه، في آيات كثيرة، قال تعالى في سورة

القمر : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ .

٦- أظهر أن أساس إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام، إنما هو لإقامة الدين

الرباني الحق وحفظه، وإقامة شرعه الصدق، وصونه . قال تعالى في سورة الأنعام :

﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴿٤٨﴾ .

الخبر العظيم لمنهج الوقائي في القرآن الكريم

٧- بين أن دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام واحدة، فالكل من عند الله تعالى، وجاء يدعو إليه عز وجل، في آيات كثيرة منها قوله سبحانه في سورة الحجر :

﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ .

٨- أظهر أن لكل الرسالات السماوية أعداء من أهل الكفر، المعانين والمشركين المكذبين؛ والله تعالى غالب على أمرهم، ومظهر دينه، رغم إعراضهم وتكذيبهم بكل أنواع المكر، كقوله تعالى في سورة التوبة : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

٩- أكد على أن محمداً ﷺ هو رسول من جملة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، قال جلت عظمته في سورة البقرة : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ ﴾ .

١٠- أوجب الطاعة لرسول ﷺ المبلغ عن ربه سبحانه شرعه القويم، وأن الله جل في علاه لا تتحقق طاعته إلا بطاعة رسوله ﷺ، في آيات كثيرة منها قوله تعالى في

سورة الحشر : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴿٧﴾ ﴾ .

١١- ذكر بعض معجزات^١ الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، بما تقوم به الحجة على أقوامهم، وفي ذلك بيان لمنهج الله تعالى، حين يؤيد رسله بما يشهد

صدق بلاغهم عن ربه سبحانه، قال تعالى في سورة الإسراء : ﴿ وَمَا مَعْنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَعَائِنَا ثَمُودَ الطَّاغُوتَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ ﴾ .

^١ المعجزة : الأمر الخارق للعادة، يؤيد به الرسول والنبي من عند ربه سبحانه .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

١٢- عرض حال الأمم السابقة من رسالات سماوية، ومواقفهم العدائية من الدين الحق، الخاتم لما قبله من شرائع ربانية ورسالات سماوية، قال تعالى في سورة البقرة : ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٣٠﴾ .

وبهذا اتضح أن حديث القرآن الكريم عن النبوات، والرسالات، والأديان السابقة، انصب على مسألة بيان أن منهج الدين واحد، وهو من عند الله تعالى، لتقوي جانب الإيمان بالله تعالى، ولتبين أن الله سبحانه هو المعبود المشرع لا سواه . وإن تعددت المناهج التشريعية، زماناً ومكاناً، فذلك لحكمة إلهية لمراعاة مقتضى حال كل قوم .

المحور الثالث : الغيبات^١ :

في هذا المحور ركز حديث القرآن الكريم على جانب واسع من الغيبات، سواء الدنيوية التي تتعلق بجانب النبوات والرسالات السابقة، والملائكة الكرام عليهم السلام، وأمة الجن، وما إلى ذلك، أم الغيبات الأخروية التي تتعلق بالجنة، والنار، وباليوم الآخر، وأهواله، وأحواله، وكل ما يخصه، أو القبر وما فيه . وبجال الغيب من أهم ما يقوي جانب الإيمان . لذا عد سبحانه وتعالى الإيمان بالغيب من أُمير ما يميز المؤمن الصادق، عن غيره من الناس، لأنه يوقف المسلم على مرادات الدين، ويجعله ينبذ الخرافات والأساطير، وهذا في حد ذاته يؤيد جانب الدين الحق، وفي الوقت نفسه صيانة للإنسان عن لوثات الأفكار، ودوامه التخبطات . لذا أخذ حديث القرآن الكريم عن الغيب مجالاً واسعاً، حين :

^١ الغيب : كل ما غاب عن الإنسان، سواء كان من الأمور الحاضرة أو الماضية أو المستقبلية .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

١- تحدث عن صدق الإيمان، وتحقيق خشية الله سبحانه، فتكلم عن المؤمنين، وأهم صفاتهم، في آيات كثيرة منها قوله تعالى في سورة الملك : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (١٣) .

٢- تكلم عن المنافقين، وعن بعض مواقفهم، وأحوالهم، وعن حقيقة كذبهم، ومدى نفاقهم في دينهم، وقاية للإنسان من النفاق؛ الذي يقدر في عقيدته، وفي دينه عامةً، محذراً من سوء النفاق والتعامل به، كقوله جلّت عظمتة في سورة النساء : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِّعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١٤٦) .

٣- أوضح مفهومي الإسلام والإيمان^١، وبين معانيها، في آيات عدة، ليعرف المسلم الفرق بين ما يخص القلب؛ من عقائد، وما يخص البدن؛ من أعمال، منها قوله تعالى في سورة الحجرات : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ (١٤) .

٤- ربط قضية الدين الحق بمسألة الإيمان بالله تعالى، وبالיום الآخر، وبمسألة الجزاء والحساب، ترغيباً وترهيباً، في آيات كثيرة منها قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٦٢) .

^١ إذا قرُن الإسلام والإيمان في نص : فيراد بالإسلام الأعمال الظاهرة من سائر العبادات، ويراد بالإيمان الاعتقادات الباطنة . وإذا افترقا في نص شمل كل واحد منهما الآخر .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

٥- علق مسألة نجات الإنسان في الآخرة على مدى تمسكه بالدين الحق، الذي سيقيه من كل ما يضر به قال تعالى في سورة آل عمران : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾ (٨٥) .

٦- تكلم عن الملائكة الكرام عليهم السلام، وعن أمور كثيرة مما يخصهم، كأسماء بعضهم، وصفاتهم وأحوالهم، ووظائفهم وما إلى ذلك، في آيات كثيرة منها قوله تعالى في سورة التحريم : ﴿ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٦) .

٧- ذكر أمة الجن، وتكلم عن بعض أحوالهم، وشؤونهم، ورسولهم، فبين بذلك مدى صلاحية هذا المنهج الوقائي الحق، وأنه لعموم البشر، قال تعالى في سورة الجن : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴾ (١) .

٨- كشف بعض الأمور الغيبية، في الماضي، حال عرض بعض أحوال الأمم السابقة، ليثبت بذلك جانب الإعجاز لهذا الكتاب العزيز، ولا سيما لمن كان موجوداً زمن التنزيل، وليثبت في المستقبل جانب الإعجاز العلمي في الكون، قال تعالى في سورة الفرقان : ﴿ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴾ (٣٨) .

٩- تكلم عن أهوال يوم القيامة، تخويفاً به، وتحذيراً منه، للاستعداد له، ولما فيه من أهوال عظام، في آيات كثيرة منها قوله تعالى في سورة الأعراف : ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِعَايِنَتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ (١) .

الخير العميم لمنهج الوقائي في القرآن الكريم

١٠- تحدث عن الجنة والنار، وعن أوصافهما، وأحوال أهليهما فيهما، وعن المصير المحتوم، وما إلى ذلك، ترغيباً وترهيباً، مبيناً الحكمة من خلقهما، كقوله تعالى في شأن الجنة في سورة الغاشية : ﴿ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ﴾ (١١) . وقال تعالى في وصف النار من سورة الليل : ﴿ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴾ (١٤) .
وهكذا تبين أن القرآن الكريم تحدث عن الغيب، من خلال جعله سبباً من أسباب تقوية الإيمان، وترسيخ العقيدة الصحيحة، التي جاء بها الرسل عليهم الصلاة والسلام، من عند الله جل في علاه . فكان علامة قوية على صدق دين الله تعالى ومنهجه الوقائي الحق .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المطلب الثاني : الحديث عن التشريع :

في هذا المجال تحدث القرآن الكريم عن جانب التشريع الإسلامي¹؛ الذي يمثل صلب هذا الدين الحق وشرعه المطهر، من خلال الحديث عن الأوامر، والنواهي، والأحكام، والحدود، وما إلى ذلك . مبيناً أن القرآن الكريم هو المنهج الرئيس، والمصدر الأول، لذلك التشريع .

لذا كان حديث القرآن الكريم عنه بصورة مجملة دون تفصيل؛ لأن القصد من إيراد آيات التشريع، بيان أن الدين لله تعالى، المعبود المشرع الحكيم، الذي وجبت طاعته وعبادته لا سواه عز وجل، كما أمر وشرع وبيّن جل في علاه .

وبالتالي كانت السنة النبوية المطهرة مليئة بالتشريعات، والتفصيليات، لسائر العبادات، والمعاملات، والأحكام، والحدود .

وجملة التشريعات التي وردت فيه، تبين مدى متانة هذا الدين، وكيف أن الله جل في علاه قد وضع له شريعة سمحة، لها القدرة على مسايرة الزمان، والمكان، ومراعاة مقتضى الحال، بما يحقق للخلق عموم المصالح والمنافع، ويدراً عنهم كافة المفاسد والمضار .

وإجمالاً فقد تناول حديث القرآن الكريم موضوع التشريع الإسلامي بطريقة موسعة، يندرج ضمن قسمين اثنين :

القسم الأول : عموميات مقاصد التشريع :

في هذا القسم ذُكرت عموم مادة التشريع الإسلامي، مبيناً أن الدين الحق له شريعة مطهرة خاصة به وجب إتباعها، تناولت جملة التشريعات الإسلامية، من

¹ الشرع : هو المنهج الرباني . والتشريع : سن القوانين ووضعها .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

حيث كونها شريعة متكاملة، ومنهج حق، مظهرة مدى صلاحيته، وغاياته السامية، التي جاء بها ولها، دون تفصيل لموضوعاته، كأحكام وحدود شرعية :

١- فقد جاء في القرآن الكريم بيان أن الدين الحق، هو أساس حفظ حياة الإنسان الحياة السعيدة، وكفى بذلك منهجاً وقائياً . قال تعالى في سورة البقرة : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾ (١٣٨) .

٢- يبين أن لكل أمة ما يناسبها من شريعة ومنهج، يحقق مصالحها في زمانها، فقال تعالى في سورة المائدة : ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا ﴾ (٤٨) .

٣- أوضح أن أصل التشريع ما كان في الوسع، وأن الله سبحانه لم يكلف الناس بما هو فوق طاقتهم أبداً، فرفع سبحانه عن خلقه الحرج في الدين، لئلا يشق عليهم، قال تعالى في سورة البقرة : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢٨٦) .

٤- ذكر أن أساس التفقه في العلم، إنما يكون في الدين، لمعرفة كيفية إقامة شرع الله تعالى في الأرض، وهذا في حد ذاته يعتبر منهجاً وقائياً للخلق، قال سبحانه في سورة التوبة : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (١٢٢) .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

٥- أسس للأخوة في الله تعالى، أخوة الإيمان، التي لا مقياس آخر معها، ولا تفاضل إلا بها، ولا رباط يربط المسلمين فيما بينهم سواها قال سبحانه في سورة الحجرات : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (١٠) .

٦- بين الهدف الأسمى، والمقصد الأعلى، من خلق العباد في هذه الدنيا، فقال تعالى في سورة الذاريات : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٥٦) .

٧- تكلم عن معاملة غير المسلمين، وأوضح كيفية علاقتهم بغيرهم، من أهل الكفر والشرك والأديان الأخرى، قال جلت عظمته في سورة الممتحنة : ﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (٨) إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٩) .

وهكذا تبين أن القرآن الكريم قد شرع كل ما من شأنه نفع العباد، في دنياهم وأخراهم سواء . تشريع ديني، حياتي، متكامل، لخيري الدين والدنيا؛ وقاية لهم، وغنية عن تلمس أية مقاصد بشرية أخرى .

القسم الثاني : تفصيلات (العبادات والمعاملات والعقوبات) :

في هذا القسم ذكر القرآن الكريم تفصيلاً لأحكام شرعية كثيرة، تحدث عن بعض منها، وما يتعلق به، من خلال تأصيل لها ولشرعيتها . لذا تناول الحديث ثلاثة محاور :

الخير العميم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المحور الأول : العبادات^١ :

في هذا المحور ذكر القرآن الكريم أصول العبادات، دون الفروع، والتفصيليات منها، وترك التفصيل للسنة النبوية المطهرة . ركز على الجانب الوقائي من جراء إقامة تلك العبادات، حين بيّن أنها تسمو بروح المسلم، حال تأديتها كما أمر ربنا جل جلاله، وهذا في حد ذاته يعتبر محفزاً له لعمل الصالحات، وفي الوقت نفسه مانعاً له عن اقتراف المعاصي والمنكرات .

خلال ذلك الحديث وجّه القرآن الكريم رسائل إيمانية وقائية، تشجذ الهمم، وتصل العبد بربه جل في علاه، وتبين أن من خالف ذلك فقد روح العبادة، وقد يخرج عن دائرة الإيمان متى تهاون في فعلها؛ لأن هذه العبادات تمثل أساس هذا الدين الحق، التي وجب فعلها والقيام بها :

١- فقد تناول حديث القرآن الكريم الصلاة وإقامتها، وبعض أحكامها، وأنواعها كذلك، مضمناً الحديث توجيهات قيّمة، وأهمية بالغة، وثمرات ملموسة، وقاية للروح والبدن، في آيات كثيرة منها قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ (٢٣٨) . والصلاة الوسطى هي صلاة العصر وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (شغلونا عن الصلاة الوسطى، صلاة العصر، ملاً الله بيوتهم وقبورهم ناراً)^٢ .

٢- تحدث عن الزكاة وعن بعض ما يخصها من أحكام ومتعلقات، مظهراً آثارها الطيبة، وقاية من شح النفس، وشورها، في آيات كثيرة كقوله تعالى في سورة البقرة

^١ العبادة : طاعة المخلوق للخالق، وهو ربنا جل في علاه .

^٢ رواه مسلم، (٦٢٧) .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا نُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ .

٣- ذكر الصوم وبعض أحكامه، وأولى ثمراته الطبية وغاياته السامية، قال تعالى في سورة البقرة : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُنِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُنِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ .

٤- تحدث عن الحج، وعن بعض أحكامه، ومتعلقاته، مبيناً مقاصده، وأهدافه، في آيات عدة، ليؤكد على أنه شعيرة كبرى، من شعائر الله تعالى، التي جاءت كي تقبي الإنسان . قال تعالى في سورة البقرة : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَكْرُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿١١٧﴾ .

٥- ورد الحديث عن العمرة، وأنها شعيرة إسلامية، تحوي مضامين كثيرة، في تحقيق العبودية لله سبحانه قال تعالى في سورة البقرة : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ .

٦- ذكر صلاة الجمعة، موضحاً غاية تشريعها، وهو ذكر الله تعالى، وما في ذلك من وقاية، للخلق قال عز وجل في سورة الجمعة : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

٧- بين مشروعية الوضوء، وبين صفته، وكفى به وقاية من الأدران، والنجاسات، قال تعالى في سورة المائدة: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ (٦).

٨- أورد التيمم وصفته، ليعلم العباد كيفية الطهارة، حال فقد الماء حفاظاً لهم، وتيسيراً عليهم، مبيناً أن في الشريعة السمة أحكاماً يسد بعضها بعضاً، قال تعالى في سورة النساء: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْعَايِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا﴾ (٤٣).

وبهذا يلاحظ أن حديث القرآن الكريم عن العبادات تناول الأصول غالباً، في إجمال لأحكامها بقصد تحقيق مقصد أن الدين لله تعالى، من غير أن يتناولها مفصلة بوجه نهائي لحكمة جليلة، وإنما ترك ذلك للسنة النبوية المطهرة.

المحور الثاني : المعاملات :

في هذا المحور تناول حديث القرآن الكريم أصول المعاملات^١، بشيء من التفصيل لبعض منها . ركز خلال بيان ذلك على الجانب الوقائي للمنهج الشرعي لها، بتوجيه رسائل منهجية وقائية، تبرز كيفية التعاملات الصحيحة؛ على وجه

^١ المعاملات : الأحكام الشرعية التي تنظم علاقات الأفراد والجماعات، كأحكام النكاح والطلاق والبيع والأمان والقصاص والحدود وما إلى ذلك .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

يكفل المصلحة للجميع، ويمنع الضرر عن الكل، ويضمن سلامتهم، سواء كانت تعاملات اجتماعية أسرية، أو مالية تجارية، أو غيرها، كل ذلك لينعم الخلق في ظلها متى حققوها في دنياهم، وهذا في حد ذاته يوفر لهم الطمأنينة والارتياح والاستقرار في معاشهم . فمثلاً :

١- ورد الحديث عن المحرمات من سائر الأصناف، من ذوات النسب، والرضاع، والمصاهرة . قال تعالى في سورة النساء : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّكَ اللَّهُ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٣﴾ .

٢- ذكر النكاح وما يتعلق به؛ ليقوم علاقات الناس في نسق اجتماعي منظم متكامل، لا شبهات فيه ولا توجسات، ولا علاقات مشبوهة؛ تضر بالعلاقات العامة في المجتمع، قال تعالى في الحلائل بعد أن ذكر المحرمات من سورة النساء : ﴿ وَأَحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ ﴿٢٤﴾ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

٣- بين الطلاق وبعض أحكامه؛ وحالاته، وأهم ما يخص ذلك في عدة آيات قال تعالى في سورة البقرة: ﴿الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ .

٤- تحدث عن الظهار، وعن الإيلاء، وعن اللعان، وما إلى ذلك، وكلها تنظيمات أسرية زوجية، ليبين للناس كيفية صيانة علاقاتهم، ولا سيما الزوجية؛ على الوجه الصحيح، ولم يترك ذلك هملاً بحسب اجتهاد الناس، قال تعالى في سورة المجادلة: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّأَ ذَلِكَ تُوَعِّظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّأَ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامُ سِتِّينَ مَسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ .

٥- ذكر الوصية وكيفية توجيهها، لكل من كان لديه شيء، حري أن يوصي به، حتى لا يترك المسلم ورثته من بعده في حيرة من أمرهم قال تعالى في سورة البقرة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨﴾ .

٦- تحدث عن كيفية التعامل مع أهل الكتاب، مبيناً مدى شمولية هذه الشريعة الغراء، لكل الأفراد حتى من غير المسلمين، فأقام بذلك العلاقات الصحيحة بين سائر الخلق؛ وقاية لهم، قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ

الخير العظيم لمنهج الوقائي في القرآن الكريم

أَلَكْتَبِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ .

٧- بيّن أمر الله تعالى للمسلم بالإحسان، في كل شأنه وتصرفاته، ليعده عن العنف والشدّة، حماية له ولن تحت يده، ولكل من يتعامل معهم، قال تعالى في

سورة البقرة: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ .

وهكذا تناول القرآن الكريم المعاملات، من خلال إرساء قواعد لها، ومن خلال ذكر لأهم أحكامها، ضبط بذلك حياة العباد، على منهج وقائي حق، هو خير ما تنتظم به حياتهم الدنيا .

المحور الثالث : العقوبات (الحدود)^١:

في هذا المحور ذكر القرآن الكريم مجمل الحدود الشرعية، وترك التفصيل لمدلول السنة النبوية المطهرة . ركز خلال بيان ذلك على الجانب الوقائي، لزواج الحدود، من خلال توجيه رسائل تحذيرية وقائية، لكل من خالف المنهج الحق، ليرتدع عن اقترافها أو محاولة الاقتراب منها، والمنهج الوقائي حين وضع العقوبات، شدد فيها بكل صرامة، بحسب نوع المخالفة، أراد بذلك أن يبين حدود هذه الشريعة الغراء، حتى لا يتجاوزها أحد، فيقع تحت طائلة العقوبة؛ لأن تجاوزها يعني تعدي شرع الله جلّت عظمته، الذي وضع لعباده . فمثلاً :

١- تحدث عن حد الزنا لغير المحصن؛ مشنعاً فعله وجريمته، مشدداً عليه، قال جلّت قدرته في سورة النور: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا

^١ الحد : عقوبة مقدرة شرعاً تردع من الوقوع في الذنب .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

تَأْخُذُكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلِيَشْهَدَ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ .

٢- ذكر حد القذف؛ محذراً من الوقوع فيه، صيانة للمجتمع من الامتهان، وردعاً لكل من تجاوز الحدود بلا بينة، قال تعالى في سورة النور : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ .

٣- تكلم عن الديات، مبيناً استحقاتها لصاحبها، وهذا في حد ذاته حماية للجاني، من التعدي عليه بأكثر مما يستحق، وحفظاً لحقوق الجني عليه، كما بين حد القتل العمد، والقتل الخطأ، قال تعالى في سورة النساء : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٢﴾ .

٤- ذكر حد الحراة؛ بكل صرامة، مهولاً فعلها وسوء عاقبتها، قال تعالى في سورة المائدة : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

٥- أورد حدود الجراح، مفصلاً فيها، مبيناً استحقاق المجني عليه لها، محبذاً العفو فيما بين المسلمين، قال تعالى في سورة المائدة : ﴿ وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسِ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ نَصَّدَفَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾ .

٦- تكلم عن حد البغاة . قال تعالى في سورة الحرات : ﴿ وَإِنْ طَافَيْنَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَمْتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَقَى إِلَى اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ .

٧- تكلم عن حد السرقة، منكلاً بفاعلها، ليحفظ بذلك حقوق الناس، قال تعالى في سورة المائدة : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ .

وهكذا كان حديث القرآن الكريم عن الحدود، والعقوبات، من خلال تصوير فداحة الجرائم، وتبشيع فعلها، والتشنيع على فاعلها، والتنكيل به، ليضمن حقوق العباد وسلامتهم، في ظل منهج كانت صرامته وحزمه عين الوقاية التي تضبط حياة الناس، كل ذلك ليحذر، وينذر، ويخوف العباد، من الوقوع فيها، وبالتالي يتحقق منهجه الوقائي بوجه تام .

الخير العميم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المطلب الثالث : الحديث عن الأخلاق :

في هذا المجال تناول حديث القرآن الكريم جانب الأخلاق^١؛ والآداب، وعموم تصرفات المسلم، كالحديث عن حال الكفار، والمشركين، والمنافقين، وأهل الكتاب، وعن عموم السلوكيات الحسنة الحميدة، الداعية للفضيلة، كالصدق، والأمانة، والوفاء بالعهد، والرحمة، والعدل،

والسلوكيات السيئة الذميمة، المفضية للرديلة، كالكذب، والخيانة، والظلم، والعداوة، والنفاق، كما تكلم عن مسألة قوة الإيمان، وضعفه، وعن أجور بعض الأعمال، وعن منازل الجنة، وأسمائها، ودركات النار، وأسمائها، وما إلى ذلك .

كما أظهر حديث القرآن الكريم هنا قيمة تلك الفضائل والحصال الحميدة، وبشع الرذائل^٢، وبين سوء عاقبتها، فعمق جانب الإيمان في القلوب، ومكنون النفوس، والدعوة للتمسك بالفضائل، ونبذ الرذائل والنقائص،

من خلال رسائل توجيهية عامة، بعرض الأخلاق الحميدة، في معرض المدح، داعياً إليها، محذراً إياها، وعرض الأخلاق الذميمة الرذيلة، في معرض الذم، محذراً منها، وموبخاً عليها . فمثلاً :

١- تحدث عن الأخلاق الحسنة الفاضلة، كمبدأ الصدق، داعياً إليه ليقى الجميع من الكذب، وعواقبه، وتبعاته، قال تعالى في سورة التوبة : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ .

^١ الأخلاق : تعاملات المرء مع غيره بما يوصف بالحسن أو القبح .

^٢ الرذيلة : التصرفات الذميمة، وهي عكس الفضيلة .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

٢- تناول الحديث الواجبات الحتمية، والحقوق الشرعية، كبر الوالدين، أمراً بذلك، ليقم بين الناس العلاقات الصحيحة، ويحذر من الممارسات الخاطئة، كقوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣ ﴾ .

٣- تكلم عن جملة من الأخلاق الرذيلة، كالغيبة، والبهتان، واللمز، والهمز، والتعير، والتجسس، وسوء الظن في عباد الله سبحانه، كل ذلك صيانة للناس في دنياهم، قال تعالى في سورة الحجرات: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا يَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ١٢ ﴾ .

٤- عظم شأن الرحم وصلة الأرحام، وأوجب القيام بها، محذراً من عاقبة القطيعة، وشؤمها، ووبالها، قال تعالى في سورة محمد: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ٢٢ ﴾ .

٥- وصى بحقوق ذوي القربات، وحقوق الجوار، والصاحب، ليربط المجتمع فيما بين أفراد، ويقيهم من عاقبة التصرفات الخاطئة، قال سبحانه وتعالى في سورة النساء: ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ٣٦ ﴾ .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

٦- تحدث عن الصلح بين الزوجين؛ حال الخلاف، وأوضح كيفية ذلك ليقضي

على الخلافات الزوجية تماماً متى حصلت، قال تعالى في سورة النساء : ﴿وَإِنْ

أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا

وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴿١٢٨﴾ .

٧- عظم شأن الأمانة، وقاية للناس من الغدر، والخيانة، وتحفيزاً لحفظ الأمانات

فيما بينهم، قال تعالى في سورة النساء : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ

أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ

سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ .

٨- حذر من الفتن، وعواقبها الوخيمة على المجتمع، ليبعد عنها الجميع، قال تعالى

في سورة البقرة : ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴿١٩١﴾ . وقال سبحانه في الآية الأخرى

: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴿٢١٧﴾ .

٩- حذر من الظلم، وسوء عاقبته، محذراً من انتشاره فيما بين المجتمع، قال تعالى

في سورة الفرقان : ﴿وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ .

١٠- أفاض في الحديث عن رسول الله ﷺ وعن بعض أحواله، وأحوال المؤمنين

معه، داعياً للاقتداء بهديه، والالتزام بسنته، منها قوله تعالى في سورة الحجرات :

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ

لِلنَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ .

١١- بين فضل أمهات المؤمنين، رضوان الله تعالى عنهن، وبعض أحوالهن،

ومواقفهن، وصفاتهن، ليحبب لمعاشر النساء الاقتداء بهن، وحثهن على ذلك، وهذا

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

في حد ذاته وقاية للمرأة من التصرفات المحرمة والممارسات غير اللائقة منها قوله تعالى في سورة الأحزاب : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (٣٣) .

وبهذا تبين أن حديث القرآن الكريم عن الإيمانيات والأخلاقيات، أصل فيه لكل فضيلة، وخلق حسن، وأمر بذلك، ودعا إليه، ومدح أهله، ونبذ كل رذيلة، وخلق ذميم سيء، وحذر منها، وقبح فعلها، وشنع على فاعلها، في منهج وقائي تام . والمحصلة هي أن القرآن الكريم حين تحدث عن الدين تكلم عن كل جزئياته، واستغرق كل تفصيلياته، وبيّن ما يجب، وما يتوجب على الإنسان فعله، ولم يغفل عن أدنى جزئية، ذات أثر إلا وقد بينها، ولم يتركها لتعصف بعقل المسلم، في دوامة الوسواس، والترددات، والشكوك، والحيرة، والأوهام، وكان منهجه ذاك معتمداً على زاويتين :

- الأولى . بيان المنهج الحق فيها، وثمره وآثار ذلك الطيبة .

- الثانية . تحذيره من عاقبة الانحراف عنها، وسوء ذلك .

وبهذا وضع الدين في منهج محكم، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد؛ متى حققه المسلم وصان دينه؛ أفلح ونجا . حين جاء بكل مفرداته التي يحتاجها المسلم في حياته، بأكثر مما يتصور العقل البشري القاصر أو يطلب؛ ليوقفه على مدى عمق هذه التعاليم، وغاية نفعيتها في حياته، بأكثر مما كان يعتقد، ويفكر، ويدور بخلده .

مفصلاً موضوعاتها على الوجه الذي يظهر غايات المقاصد، بكل وضوح .

كل ذلك ليقوم المسلم شريعة ربه سبحانه كما أمر ربنا جل في علاه .

الخير العظيم لمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المبحث الثالث : حفظ النفس :

- . المطلب الأول : الجانب الجسدي (المادي) .
- . المطلب الثاني : الجانب الروحي (المعنوي) .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المبحث الثالث : حفظ النفس :

كل الشرائع السماوية الربانية؛ كان من أولويات تشريعاتها، حفظ النفس^١، وسلامتها . وذلك يتم بامتنال أوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه .
وفي شرع ديننا الحنيف المتمثل في المصدر التشريعي الأول، وهو القرآن الكريم، ورد فيه جملة من الآيات التي جاءت لترسي ذلك، ولتبينه، وتضع له منهجاً قوياً للغاية .

لذا أخذ حديث القرآن الكريم عن النفس أبعاداً كثيرة، من أولوياته التي جاء بها، الوقاية التامة بكل ما يحقق حفظ النفس البشرية، ويضمن سلامتها، وفق منهج شرعي أصيل، وفي محكم التنزيل قوله تعالى في سورة يونس : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيِكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (٢٣) .

وحديث القرآن الكريم الذي تناول النفس قد راعى جانبين اثنين، هما : أنها نفس محكومة باحتياجات، ورغبات، ونزوات مادية، تريحتها متى تحصّلت عليه، فلم يتجاهل ذلك، بل رشّده، ووجهه ووضع له منهجاً حقاً، يحقق لها كل ما تصبو إليه، وتطمح فيه، من غير أن تؤذي ذاتها، أو تضر بغيرها، أو تتعدى على ما ليس لها، في حمأة طلب الحريات المفرطة، وثورة السعي خلف تأمين الضرورات، وتحصيل الحاجيات، بأية طريقة كانت . وراعى أيضاً أنها نفس طموحة ذات أشواق وتطلعات، فحد لذلك حدوداً لها، بحيث تقف كل تلك التطلعات عند حد المعقول المقبول، فلا ضرر ولا ضرار .

^١ النفس : جوهر لطيف يدل على الروح والحياة التي في الإنسان .

الخير العميم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

وبهذا ضمن حديث القرآن الكريم للنفس البشرية الحماية من شرورها، وغدراتها، وغوائلها، وبوائقها، وطغيانها، وانحرافاتهما، قبل أن يحمي الآخرين منها، فحقق بهذه الطريقة حمايتها من الآخرين، وحماية الآخرين منها، لأنه لم يقبل الخطأ منها، ولم يرضه عليها .

وقد شملت آيات القرآن الكريم كل الجوانب التي تختص بذلك، ليقف على كل مفاصل الحديث عنها، فيعالج داءاتها، ومشكلاتها، وخلجاتها، ومن ثم ليضع المنهج القويم، لكيفية معالجة ذلك، بما يحقق حفظها، وسلامتها^١. متناولاً الحديث محورين اثنين . سأتناولها خلال مطلبين، من حيث كونهما منهجاً وقائياً :

المطلب الأول : الجانب الجسدي (المادي) .

المطلب الثاني : الجانب الروحي (المعنوي) .

^١ تعليق : يلاحظ أن مجمل كتب علم النفس حين تناولت دراسة النفس البشرية تناولتها من ناحيتين اثنتين :

- الأولى : من الناحية المادية من حيث التكوين، وهو ما يعرف بعلم النفس التكويني .
- الثانية : من الناحية المعنوية وهي عموم كتب علم النفس العام بكافة مجالاته وفروعه، وكتب الشخصية، وكتب السلوك النفسي، وما إلى ذلك من كتب ومؤلفات .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المطلب الأول : الجانب الجسدي (المادي) :

في هذا الجانب تناول حديث القرآن الكريم الجانب المادي للنفس، من خلال إيراد جملة من الآيات التي اهتمت بذلك، مبيناً كيفية المحافظة عليها بوجه عام؛ لأن قوام الدين لا يكون إلا بقوام البدن، وقوام البدن لا يتحقق إلا وفق منهج حق، يضمن للإنسان شيئين، قوت يقيم به صلبه، ومنهج حق يحفظه من الأذى، والعطب، والسوء، والضرر :

١- ففي البدء ساوى بين النفوس، من حيث مادة الوجود، وحقيقة التكوين، بغض النظر عن التفاضل في الأقدار، والمقامات، والأعمال، فقال تعالى في سورة

المائدة : ﴿ وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ (٤٥) .

٢- عظم شأن النفس والمحافظة عليها، وحرمة الاعتداء عليها، أو الإضرار بها، بأي وجه كان، وتجاوز ذلك يعني الفساد العظيم، قال تعالى في سورة المائدة : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (٣٢) .

٣- بين تحريم التعدي عليها بالقتل، إلا بالحق المبيح لذلك، حين أمر أمراً صريحاً بحفظ النفس، وعدم التعدي عليها بإزهاق روحها، في آيات كثيرة منها قوله تعالى

في سورة الإسراء : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ (٣٣) .

٤- أظهر أمر الله سبحانه وتعالى بحفظ مكانة النفس، التي قتلت بالخطأ، صيانة لها، ولحقها المهدر من غير قصد، ووقاية للقاتل من التعدي عليه بالقتل، لعدم قصده ذلك الفعل، قال جلت عظمته في سورة النساء : ﴿ وَمَا كَانُ لِمُؤْمِنٍ أَنْ ﴾

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

يَقْتُلُ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ﴿١٢﴾ .

٥- أورد وجوب سلامة النفس، وعدم التعدي عليها بأدنى جناية^١، تلحق بها الضرر، في آيات كثيرة، من جملتها آيات الحدود، منها قوله سبحانه في سورة المائدة : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ﴿٣٣﴾ .

٦- بين نهي الله تعالى عن التعدي على الولد بالقتل، الذي يعد قطعة من النفس، مهما كان السبب الدافع لذلك؛ لأن الإنسان لا يملك أن يزهق روحاً، وإن كانت روح ولده، قال تعالى في سورة الأنعام : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ ﴿١٥١﴾ .

^١ الجناية : فعل محظور ينشأ عنه ضرر النفس أو ضرر الآخرين .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

٧- تحدث عن تشريع الله سبحانه للنفس كل ما يحفظ قوامها المادي، بأن شرع لها القوات الطيب، ومنع عنها الخبيث المضر، فقال تعالى في سورة البقرة: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (١٧٢) .

٨- تكلم عن وقاية الإنسان من الأكل الحرام، في ربط بين الماديات، والمعنويات، مما هو حلال الإباحة، ومما هو حلال الكسب، قال تعالى في سورة البقرة: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ (١٦٨) .

٩- وضح تحريم الله عز وجل للانتحار^١؛ لأن فيه اعتراضاً على قدر الله سبحانه، قال تعالى في سورة النساء: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (٢٩) .

١٠- أورد تحريم كل مضر مفسد، من عموم المأكول والمشروب، مما لا تنتفع به، بل قد يضرها، ويفسدها، في آيات كثيرة منها قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ (٣) .

١١- بيّن أن لكل نفس أجلاً لا تتعداه، زماناً، ومكاناً، كل إنسان صائر إليه، قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (١٨٥) .

^١ الانتحار: قتل النفس بأداة ما، أو بطريقة معينة .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

١٢- حذرنا من مغبة الإفراط في الأكل، حتى لا يضر الإنسان ببدنه، ومن ثم بعقله، وجسده، وبوجه عام؛ لأن القصد من الأكل حفظ مادة الحياة؛ بقوام الصلب، قال تعالى في سورة الاعراف : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا

يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ .

١٣- ذكر أن لكل نفس مرافقين حفظة، من الملائكة الكرام عليهم السلام، فلا يجري عليها من الأقدار، والمصائب، إلا ما أراد الله تعالى، قال سبحانه في سورة

الرعد : ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴿١١﴾ .

١٤- طمأن الإنسان بأن لكل نفس رزقاً؛ لا يتعدها ولا تتعدها، ومكاناً تموت فيه، لا يعلمه إلا الله جل في علاه، كى لا يحمل الإنسان هم ذلك الأمر، قال

تعالى في سورة لقمان : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا

فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ

اللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ .

١٥- أوضح أن النساء شقائق الرجال^١، في هذه الدنيا، وأنه عز وجل جعل لكل بني جنس احتياجاً للآخر، وأنه سبحانه جعل بين الزوجين المودة والرحمة، لينعم الإنسان في ظل حياة زوجية سعيدة، وبهذا تتكامل الحياة بهما مجتمعين، ومنهما يكون النسل وحفظ النوع، لا غنى لأحدهما عن الآخر. قال جل في علاه في سورة

^١ وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (النساء شقائق الرجال)[رواه أبو داود، (٢٣٦) . الترمذي، (١١٣) . وصححه الألباني من سنن أبي داود] . وشقائق أي مثلهن، والمعنى يكتمل كل واحد منهما الآخر .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

الروم : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٣١) .

١٦- بين أن الولد قطعة من النفس، وقلدة من الكبد، تقر به الأعين، يكون

نتيجة شراكة زوجية بين أبوين متحابين، قال تعالى في سورة النحل : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ

لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ

الطَّيِّبَاتِ ﴾ (٧٢) .

والمحصلة هي أن حديث القرآن الكريم تناول هنا، الجانب المادي للنفس البشرية، وذكر فيه أهم متعلقاته، بما يحقق لها المنهج الوقائي على الوجه المطلوب، حتى لا ينشغل الإنسان بما وراء ذلك، مما يراه أنه من أولويات حياته المادية، وحسبه ما جاء فيه من توجيهات وقائية نافعة .

وهكذا اتضح أن عطاء القرآن الكريم لا يزال مستغرقاً مستقبل الأيام، بحسب

مستجدات الزمان، ومعطيات الأحداث .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المطلب الثاني : الجانب الروحي (المعنوي) :

اهتم حديث القرآن الكريم هنا بالنفس البشرية من الناحية المعنوية، في قالب وقائي تام، عني بكل ما يخصها، لتعرف هدفها في الحياة . والوقاية المعنوية للنفس البشرية في كتاب الله تعالى، أخذت مجالاً واسعاً فيه، ليعرف الإنسان مدى عناية الله تعالى بنفسه، فللنفس علل وداءات كثيرة لا يعلمها إلا الذي خلقها وصرفها، وهو مطلع على مكنون جوهرها، وهو الله جل في علاه، الذي يعلم ما يقومها وما يصلحها ويصلح شأنها، فيبين أولاً :

١- مدى إرادة الله سبحانه في هداية النفس البشرية، حين ألهما سبيل الرشاد، وحذرها من كل سبل الغي، والردى، فتنجو وتفلح قال تعالى في سورة الشمس :

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ ۝ ﴾ .

٢- أمر بوجوب حفظ النفس من كل ما يوبقها، من ذنوب، وآثام، وخطايا، ومنكرات، ومفسدات، وحذر من سوء عاقبة الانحراف عن المنهج الحق بقوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ أُتْبِغَاءً لِّمَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ۝ ﴾ .

لذا أمر سبحانه بوجوب المسارعة بالإقلاع عن الذنب متى حصل من المسلم

بقوله تعالى في سورة النساء : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ ۗ

يَجِدِ اللَّهَ عَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ۝ ﴾ .

٣- ذكر حالات النفس الثلاث، مبيناً للإنسان أحواله مع نفسه، وأحوال نفسه مع منهج ربه سبحانه، ومدى قبول ذلك، من الاعراض عنه، فقال تعالى في سورة

يوسف : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۗ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ۝ ﴾

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

. وقال سبحانه في سورة القيامة : ﴿ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۝٢ ﴾ . وقال عز

وجل في سورة الفجر : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنِّةُ ۝٢٧ ﴾ . فتبين أن للنفس ثلاث حالات، فتارة تكون مطمئنة لا تأمر صاحبها إلا بخير، وتارة تكون لوامة تلوم المرء على الخطأ، وتارة تكون أمارة بالسوء، متى استولت عليها الشهوات والشبهات .

٤- خوِّف من سوء عاقبة ما اقترفت النفس، حال طغيان الشهوات والشبهات عليها، فيه إشارة إلى ضعف النفس أمام المؤثرات، والمغريات، قال تعالى في سورة آل عمران : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٢٥ ﴾ .

٥- حذر من بواعث النفس، وشهورها، وشهواتها، ونزواتها، بوجه عام، فيه إشارة على نقصها، ومدى احتياجها لمنهج وقائي يعصمها، ويحميها، من هواجسها، ونزوعاتها، فقال تعالى في سورة يوسف : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝٥٣ ﴾ .

٦- تكلم عن مسألة تركية الإنسان نفسه، وأن ذلك أمر هو بيد الله تعالى، الذي يعلم خفايا النفوس، ومكنون الصدور، فيه إشارة إلى الإعجاب بالنفس، وتشوفها على الآخرين، رغم ضعفها ونقصها، والمنهج الرباني هو الذي يضمن لها السلامة من الجنوح، والانحراف، ويحقق لها التزكية الحقيقية، قال سبحانه في سورة النجم :

﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ۝٣٢ ﴾ .

الخبر العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

٧- تحدث عن الوسوس والغوائل، محذراً من انسياق النفس خلف ركب ذلك، بتتبع خطوات الشيطان وشركه، فيه إشارة إلى حديث النفس للنفس، ونفس بلا منهج تنوه في دروب الضلال، ومسالك الردى، قال له تعالى في سورة ق :

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَّمْنَا مَا تُوسَّوِسُ بِهِ نَفْسُهُ. وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ

﴿١٦﴾ .

٨- بيّن أن النفس صاحبة هوى يطغي صاحبه، ويجعله ينجح عن الحق كثيراً، فحذر من ذلك، فيه إشارة إلى مسألة ميول النفس لكل ملذذ ومرغوب، فقال تعالى

في سورة النازعات : ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤﴾﴾ .

٩- أوضح أن شرع الله تعالى هو خير ما يحفظ النفس البشرية، من سوائها، وغوائلها، وغدراتها، وجنوحاتها، فيه إشارة إلى جنوح النفس المتكرر عن الحقائق،

قال تعالى في سورة الطلاق : ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴿١﴾﴾ .

١٠- أوضح أن نفس الإنسان هي أبصر بفعالها، وأدرى بتصرفاتها، بحسب اختياره

لعمله، قال تعالى في سورة الإنسان : ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا

﴿٣﴾ .

١١- بيّن أن كل نفس مرتهنة يوم القيامة بما ستقدم من عمل في دنياها، وفي ذلك دعوة للمبادرة بالعمل الصالح، وتجنب ما سواه، من مظالم، وتعديات، وفساد،

ومنكرات، قال تعالى في سورة المدثر : ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ .

١٢- كشف كيف أن النفس تروّض ذاتها حال المعصية لتطويع هواها وتجاريه، فيه إشارة إلى دوافع النفس، ودواعيها، ونزغاتها ونزوعها الدائم، والصراع المستمر بداخلها، والمنهج الوقائي إنما جاء ليحميها من ذلك، لتقف عند حدود الله تعالى

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

ومراده سبحانه قال جل ذكره في سورة المائدة : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٣٠) .

١٣- ألزم كل نفس، بأنها مسؤولة عن اتخاذ قراراتها، وأن الله تعالى يلزم كل إنسان بما في نفسه، ما لم يغير ذلك، فيه إشارة لحقيقة سلوك النفس، وطبعها، وطريقة تفكيرها، قال تعالى في سورة الرعد : ﴿ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ لَا يَغَيِّرَ مَا يَفْعَلُ حَتَّىٰ يَغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾ (١١) .

١٤- ضمن للنفس البشرية الصلاح، وراحة البال، والاستكانة، والطمأنينة، وقاية لها، حين بين لها الصراط المستقيم، ورجبها فيه وحببها إياه، قال تعالى في سورة محمد : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيْنَا مِنْ حَقِّهِ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرْنَا عَنْهُمْ سِيَئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ (٢) .

١٥- أظهر مدى مجاهدة النفس، السوية المستقيمة، وصراعها الدائم، لما بداخلها، من أفكار ووساوس، ومغالبة بين قوى الحق والباطل، والخير والشر، والهدى والضلال، وذلك أمر طبعي في عالم البشر، فيه إشارة إلى صوت الحق، المطمور في قراراتها، حال تكوينها الخلقي، قال تعالى في سورة العنكبوت : ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (٦) .

١٦- حمى النفس من عصف الحيرة، والتردد، وعناء الإرهاق، والشقاء، حين وضع لها منهجاً وقائياً، يعصمها من كل ما قد يضر بها، فأراحها من عناء البحث عن منهج يوضح لها ذلك، قال سبحانه في سورة الأنعام : ﴿ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

الشَّيْطَانُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ، أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى أُتَتْنا قُلْ إِنَّ
هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ .

١٧- ذكر أن النفس قد تكون ذات جحود واستنكاف، رغم يقينها بالشيء الحق، متى امتلأت بالشهوات والشبهات، التي تحجب عنها أنوار الهدى الربانية، فيه إشارة لمكامن الشر والنقص في النفس، كلما ابتعدت عن طريق الحق وحادث عنه، وجانبت الصواب قال تعالى في سورة النمل: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ .

١٨- وضع أن الشخصية شيء؛ والنفس شيء آخر، وهذا في حد ذاته وقاية للإنسان، حين يجذر من حديث النفس، الذي قد يقوده إلى الهلاك والبوار والضياع، قال جلت عظمتة في سورة المائدة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الِّمَلٰئِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ ﴿١٧﴾ .

وهكذا تحدث القرآن الكريم عن الجانب المعنوي للنفس البشرية، وتطرق الحديث فيه إلى كل ما يتعلق بها من موضوعات، ومتعلقات، بل ومصطلحات سبق إليها القرآن الكريم كتب علم النفس الحديث، التي تناولتها مؤلفاته وأبحاثه ومصادره ودراساته .

القرآن الكريم أمر بحفظ النفس من كل ما يضر بها مادياً أو معنوياً، وبين كل ما يؤثر عليها من قريب أو من بعيد، وأول ذلك هوى النفس وطغيانها وفجورها وبواتقها .

^١ الشخصية : سلوك الفرد وصفاته الذي يميزه عن غيره .

الخير العميم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

القرآن الكريم تعامل مع مكنون النفس، من خلال الحديث عن كل ما يمت لها بصلة، فتكاملت بذلك أطراف الحديث عنها، وكل ما يشعر الإنسان أنه بحاجة لمعرفته والوقوف عليه .

وبهذا حوت آيات القرآن الكريم التي تكلمت عن النفس البشرية جميع احتياجاتها، وما قد يدور بخلدتها من أمور، ولم يترك القرآن الكريم شيئاً ينفعها، أو قد يضر بها، إلا وبينه ووضحه، ووضع له منهجاً حقاً تسيير عليه، تكلم عن كل حالاتها، وأحوالها، بكل ما يحقق رغباتها، واحتياجاتها، ويرضي نهم تطلعاتها، في محتوي فريد . فعالجها بذلك أيما علاج من كل وجه؛ لتكون سوية، مستقيمة، مستكينة، مطمئنة .

الخير العميم لمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المبحث الرابع : حفظ العرض :

- . المطلب الأول : المأمورات والمباحات .
- . المطلب الثاني : المنهيات والعقوبات .

الخير العميم لمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المبحث الرابع : حفظ العرض :

حفظ العرض من أولويات الأمور، التي جاءت كل الشرائع أمرة به؛ لأن حفظ العرض^١، وسلامة النسل وطهارته، تبنى عليها مسألة سلامة المجتمعات، بوجه طبيعي منظم لا شبهات فيه .

وقد أرسى القرآن الكريم موضوع المنهج الوقائي للعرض؛ لأن به يكون حفظ الأنساب، فتنتظم بذلك حركة الحياة، وتستقيم .

ومسألة حفظ العرض من مهمات كل أسرة سليمة؛ لأن التربية لا تقوم إلا على نسل طاهر، ومتى فسد النسل، وتدنس العرض، تساهل الأبوان في الاهتمام بالأولاد، وحينها ينفطر عقد الأسرة، والمجتمعات من وراء ذلك . لهذا نحت الآيات منحيين :

الأول- تكلم عن كل ما يحفظ العرض سليماً، من كل ما قد يشوبه، من خلال إيراد جملة المأمورات الشرعية، والمباحات التي تبين ذلك، في منهج وقائي تام شامل لكل ما يتعلق بذلك .

الثاني- تكلم عن مخالفات ذلك المنهج الحق، وما ينتج عنه من جرائم الزنا، واللواط، ومشكلات سوء السمعة، جراء القذف، أو الشك، والريبة في نسبة الولد، أو طهارة منبته . وما يترتب على ذلك من أحكام وعقوبات وجزاءات .

كل ذلك لتحقيق سلامة المجتمعات، وإقامة العلاقات الصحيحة، والروابط القوية، فيما بين أفرادها، وضمان خلوها من الأمراض الأخلاقية، والوبائية، والعضوية، التي قد تمزق أواصر تلك العلاقات، والروابط وتفسدها .

^١ العرض : أهل بيت الرجل الذين وجب عليه صونه وحمايته .

الخير العميم لمنهج الوقائي في القرآن الكريم

وعليه فسيكون الحديث في هذا المبحث من خلال محورين اثنين . سأتناولهما
خلال مطلبين، من حيث كونهما منهجاً وقائياً :
المطلب الأول : المأمورات والمباحات .
المطلب الثاني : المنهيات والعقوبات .

الخبر العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المطلب الأول : المأمورات والمباحات :

في هذا المحور تولى حديث القرآن الكريم الجانب الوقائي، من خلال إرساء مفاهيم مهمة جداً، تحقق بالفعل حفظ العرض، بأن أباح تكوين العلاقات الاجتماعية، الصحيحة السليمة، القائمة على الإشهار، كي تحسب على المجتمع ويتحمل كل طرف فيها مسؤوليته تجاه الآخر، ونهى وحذر من كل علاقة مشبوهة، يشقى بها وتتبعاتها المجتمع .

والنسل جزء من الإنسان، وهو نتاج شراكة بنيت على أساس علاقة زوجية، فمتى بنيت تلك الشراكة على علاقة صحيحة، وطاهرة كان النسل كذلك، ومتى قامت تلك الشراكة على أساس علاقة فاسدة، تدنس النسل، وكان عبئاً على المجتمع، وثمره منبوذة فيه، لا يقبلها أحد بوجه طبيعي معتاد؛ لأنها جاءت نتيجة شراكة علاقة مشبوهة منحرفة، فكان كل طرف منهما يبندها منه، وينفيها عنه، ولا يعترف بها أبداً، حتى لا يلحقه العار . فكان القرآن الكريم هنا هو المنهج الوقائي، الذي حمى من كل ذلك، وصان العباد منه، حين :

١- بيّن أن من صفات المؤمنين حفظ فروجهم عن الحرام؛ لأن من الأولويات الداعية لحفظ الدين؛ حفظ الفرج، قال تعالى في سورة المؤمنون : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ

لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ .

٢- علق مسألة حفظ الدين، على مسألة حفظ النسل، حتى لا يكون أحد الزوجين طرفاً فاسداً، مؤثراً على ثمره تلك الشراكة الطاهرة بين الزوجين مستقبلاً، حين أمر بوجود حسن اختيار شريك الزوجية، من الناحية المادية؛ لأن سلامة الوعاء الحاضر من أولويات ضمان النسل الطاهر، كما أن القدرة على القيام بمسؤوليات النكاح من أولويات استقرار الأسرة، فقال تعالى في سورة النور :

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ .

٣- أباح النكاح بين الخلق بالوجه الشرعي، وحض عليه لبقاء النسل، وحفظ النوع، على الوجه الصحيح، صيانة عن الفواحش، والمنكرات، والجرائم الأخلاقية، وممارسات الرذيلة، والعلاقات المحرمة، قال تعالى في سورة النساء : ﴿وَأَحَلَّ لَكُمْ مَا وَّرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ .

٤- أوجب حسن اختيار الشريك المناسب، من الناحية المعنوية أيضاً، وفي ذلك ضمان لسلامة شريك الزوجية، الذي به تتحقق سلامة الأعراس، ومن ثم طهارة الأنسال، قال تعالى في سورة النور : ﴿الْخَيْثُوتُ لِلْخَيْثِثِ وَالْخَيْثُوتُ لِلْخَيْثِثِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ﴿٦٦﴾﴾ .

٥- بيّن كيفية تكوين العلاقات الصحيحة بين الزوجين، زمن الخطبة، محذراً من سوء استغلال تلك المدة بما قد يؤثر عليها مستقبلاً، نتيجة السلوك الخاطيء، فقال تعالى في سورة البقرة : ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ، وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾ .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

٦- تحدث عن مسألة الإنفاق بين الزوجين، صيانة لبيت الزوجية، وبياناً لحدود الإنفاق ومقداره، فالزوج مسؤول عن أسرته، يسعى عليهم بالنفقة، صيانة لأهل بيته وحفاظاً لفراشه من الدنس، وعصمة لأهله من الابتذال، قال تعالى في سورة

الطلاق : ﴿ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ

اللَّهُ لَا يَكْفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ .

٧- أباح الطلاق حال سوء العشرة، مبيناً كل أحكامه؛ لأن الطلاق يعني فكاً لرابطة الزواج المتعسر، كخطوة قد تريح الزوجين، من علاقة محسوبة عليهما، لكنها لم تحقق الانسجام المطلوب بينهما، ولا حتى بحده الأدنى، قال تعالى في سورة البقرة

: ﴿ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ

وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْتِدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴿٢٣﴾ .

٨- تكلم عن المحرمات نكاحهن بالتفصيل، حماية لهن، وتنظيماً لحياة الأفراد في

مجتمع يعج بالنساء، قال تعالى في سورة النساء : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ

أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ

الْأَخِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّن الرِّضَاعَةِ

وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي

دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ

وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِّنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ

إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ .

الخبر العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

٩- حفظ الأعراس، حين حذر من الاقتراب من كل ما قد يفضي إلى فساد، ورذيلة، من مقدمات، وسلوكيات، قد تؤدي إلى هتك الأعراس، فقال تعالى في سورة النور : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ .

١٠- أمر بالعناية بالأولاد منذ الصغر، من الناحية المادية، فكفل لهم كل الحقوق، من نفقة، ورضاع، وطاقم، ورعاية، وعناية، وما بعد ذلك، وهذا في حقيقته وقاية للمسلم، وضماناً لسلامة العرض، ومنبت الولد قال تعالى في سورة البقرة : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ .

١١- اعتنى بمسألة تربية الأولاد، من الناحية المعنوية، وحسن رعايتهم، والقيام على مصالحهم، وهذا في حد ذاته حماية للعرض؛ لأن فساد التربية الأسرية مدعاة لممارسات محرمة، وعرضة للوقوع في الرذيلة، وفعل المنكرات، الأمر الذي قد يفسد الأعراس مستقبلاً، قال تعالى في سورة التحريم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

١٢- حذر من الافتتان بالأولاد، لدرجة الدلال المفرط، والتساهل معهم، الأمر الذي قد يفسد تربيتهم ويجعلها وبالاً على الأبوين، قال تعالى في سورة التغابن :

﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ .

١٣- حرم قتل الأولاد، خشية الفقر والإملاق^١، وأمر بالإفناق على قدر الوسع، وقد ضمن سبحانه رزق الأولاد، وطمان الآباء عليه، وفي ذلك صيانة لأهل البيت

من الضياع والامتهان . قال تعالى في سورة الإسراء : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةَ

إِمْلَاقٍ تَحْنُ نَزْفُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّا قَتَلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ .

١٤- بيّن أن الزوجة والولد قد يكونان أعداء للمسلم؛ فليتنبه لذلك، بأن يحوطهم برعايته، وعنايته المستمرة، والمتابعة الحثيثة، لضمان صلاحهم قال سبحانه في سورة

التغابن : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِن أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عُدُوًّا

لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَوْا وَتَصَفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

﴿ ١٤ ﴾ .

١٥- نبّه من سوء عاقبة إنشغال المسلم عن ربه سبحانه، وذكره جل في علاه بالولد، فيه إشارة إلى أن الولد يجب أن يكون معيناً لأبيه على طاعة ربه سبحانه؛

وذلك لا يكون، ولا يتحقق إلا بحسن الرعاية، والعناية، والاهتمام به، قبل مولده،

قال تعالى في سورة المنافقون : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُلْهِكُمْ أَمْوَالَكُمْ وَلَا

أَوْلَادَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ .

^١ الإملاق : الفقر، ومنه شدة الجوع .

الخبر العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

١٦- كفل للأولاد نصيبهم من الإرث كاملاً، وبين ذلك حسب تقسيمات آيات الموارث، حماية لهم مما قد يكون من اختلاف، وحفاظاً على حقوقهم، وحماية للأعراض من الوقوع في مشكلات قد تجر فساداً عظيماً، قال تعالى في سورة النساء

: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلرَّجَالِ النِّسَاءُ ۖ وَلِلنِّسَاءِ النِّسَاءُ ۚ مِمَّا قَدْ تَرَكَ آبَاؤُهُمْ وَآلُؤُهُمْ ۚ لِلرَّجَالِ النِّسَاءُ ۚ وَلِلنِّسَاءِ النِّسَاءُ ۚ مِمَّا قَدْ تَرَكَ آبَاؤُهُمْ وَآلُؤُهُمْ ۚ ۝١١﴾ .

١٧- ضمن للأيتام حفظ حقوقهم، حتى لا يتسلط عليهم أحد قد يفسد حياتهم، فرما ضاع اليتيم، ووقع في حبال الشيطان ووحل الرذائل حين لا يجد قائماً عليه، قال جلت عظمتة في سورة البقرة: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي تَمْلِكُ قُلُوبَهُمْ لِيَصَلِحَ لَهُمْ خَيْرٌ﴾

﴿٢٢٠﴾ .

١٨- اهتم بمسألة مصير الأولاد، صغاراً في سن الرضاع؛ ولا سيما حال الفراق، لأن ضمان مصيرهم مهم في قضية استقرار الأسرة، قال تعالى في سورة الطلاق:

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِمَّا تَرْضَيْنَ مِنْ بَيْتِكُمْ أَوْ يَكْنُزْنَ فِي الْبِلَادِ أَوْ حِيثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارِرُوهُنَّ لِضَعْفِهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتَمُّوا بِبَيْنِكُمْ مَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُم فَسَرِّضْهُ لَهَا أُخْرَىٰ﴾ .

١٩- حدد مسألة قوامة الرجل في بيته، لضمان استقرار الحياة الزوجية، بوجه طبعي، بين شريكين متفاهمين، متعاونين، يتبع أحدهما الآخر، بلا غضاضة، ولا انتقاص من قدره، في تقدير رباني حكيم، وهذا في حد ذاته من أقوى أسباب ضمان سلامة الأعراض، حين يكون للبيت قيم، يحفظه ويسعى عليه، قال تعالى في

سورة النساء: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ

بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ ۝٣٤﴾ .

الخير العميم لمنهج الوقائي في القرآن الكريم

وهكذا تبين أن حديث القرآن الكريم قد اهتم بمسألة سلامة الأعراس، وطهارة الأنسال، وتكوين علاقات صحيحة بين البشر، تقوم على أساس إشاعة قيم الفضيلة، والبعد عن الرذيلة، حين أباح كل ما يحفظ العرض، ويضبط تلك العلاقات، في المجتمع بوجه عام .

وبذلك يكون قد ضمن استقرار الأسر، وحماها من الشتات، في كل المراحل

العمرية .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المطلب الثاني : المنهيات والعقوبات :

في هذا المحور ركز حديث القرآن الكريم على جانب المخالفات، التي تضر بمسألة حفظ الأعراض، من خلال تعميق قيم الفضيلة، والعفة، والطهر، والنقاء، ومن خلال تبشيع الرذيلة، والفاحشة، وما يقتضي ذلك تماماً؛ لأن الرذيلة والفاحشة متى حصلت؛ فقد حصل الشقاء، في المجتمع بوجه عام، والتي تعد من أكبر معاول الهدم والشتات والضياع .

وصيانة العرض من سلامة الدين، إذ لا يمكن لإنسان أن يقيم دينه، وهو فاسد العرض، غير مقيم له؛ لأن دواعي النفس ونزوعها يجعل الإنسان يتساهل في أمر دينه، متى تساهل في أمر عرضه، والمنهج الوقائي ملّم بذلك تماماً، فجاء بكل ما يحقق سلامة الأعراض، حين :

١- أصل لمسألة سلامة الأعراض والأنسال، بالنهي عن عموم الرذائل، والفواحش، من حيث أصل التشريع، لما في ذلك من أهمية وأثر لا يستهان بهما . قال تعالى في

سورة الأعراف : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ۗ ﴾ (٣٣) .

٢- تحدث عن الناحية المعنوية بالنهي عن الفساد؛ من حيث العموم؛ لأن فساد النسل، وهتك الأعراض، فساد عظيم في الأرض، قال تعالى في سورة البقرة :

﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ

الْفُسَادَ ۗ ﴾ (٥٠) .

٣- خوف غاية التخويف من الوقوع في جريمة الزنا، بالبعد عن الاقتراب من كل ما يفضي إلى ذلك من دواع؛ كقوله تعالى في سورة الإسراء : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ۗ إِنَّهُ

كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ۗ ﴾ (٣٢) .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

٤- حذر من مسألة التساهل في إقامة حدود الزنا، محافظاً بذلك على بقاء طهارة النسل، من أن تمسه أدنى شائبة قد تعتربه، قال تعالى في سورة النور: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ .

٥- عصم الأعراض من أدنى إفساد، ككذف الناس في أعراضهم؛ لأن ذلك قد يوهن النفس، فيشكك الإنسان في الولد مستقبلاً، مما يورث الذل والخنوع، قال تعالى في سورة النور: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا قَبْلُوهُمْ لَهُمْ شَهَادَةٌ أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ . الآية هنا تضمنت حكماً مادياً وهو الجلد .

٦- خوف غاية التخويف من الوقوع في جريمة اللواط، لما في ذلك من آثار قبيحة بشعة، تنفر منها الطباع، ولما فيها أيضاً من وضع شهوات في غير محلها المألوف، مما يسبب تفشي أخلاق الرذيلة والرضا بها، وانتشار الأوبئة والأمراض والقذارات . قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ .

٧- حذر من عواقب هتك الأعراض، ونشر الرذيلة، وانتشار الفواحش في المجتمع، ومن كل أسباب ضياع الدين، بما دعا إليه من فضائل، وأخلاق، وعلاقات طاهرة صحيحة، قال تعالى في سورة النور: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

٨- حرم الخوض في الأعراس، بما يفسدها، لما في ذلك من أدواء اجتماعية، وأمراض نفسية، تؤثر على العلاقات الصحيحة، قد تصيب الناس بالتساهل في أمور أعراضهم؛ ودينهم، قال تعالى في سورة الحجرات: ﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَاجْتَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ءِیْحِبُّ أَحَدُكُم أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣﴾ .

٩- شرع حد القذف في حق كل من قذف معصوماً، من غير بينه، حفاظاً على أعراض الناس وضماناً لسلامتها، وعصمة لها من الامتهان، قال تعالى في سورة النور: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا نَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ .

وهكذا اهتم القرآن الكريم قد اهتم بمسألة سلامة الأعراس، بالدقة المتناهية؛ لأن الإنسان متى ضمن سلامة عرضه، حفزه ذلك للاهتمام بأهل بيته، رعاية، وحماية، وصيانة لهم، وقام بواجبه نحوهم، نصحاً، وتوجيهاً، وإرشاداً، وما إلى ذلك، من حفاظ على العلاقات الزوجية فيما بعد مرحلة الزواج، ولا سيما حين تنمو الأسرة وتزداد بالأولاد، فأوجب جملة من الوقائيات، التي من خلالها تنتظم الحياة المعيشية، بوجه سليم في نسيج اجتماعي صحيح، خالياً من البوائيات الأخلاقية، ليضمن سلامته، وأمن جانبه، وحقق حفظه، مادياً ومعنوياً . وبهذا يكون قد وقى وعالج في نفس الوقت، فكان خير حافظة؛ تحفظ العرض، وتضمن سلامته، بوجه تام صيّن أمين . وحفظ الأعراس تقوم عليه أمور كثيرة، لذا راعى القرآن الكريم ذلك تماماً، حين تناوله بكل عناية فائقة، واهتمام بالغ؛ لأن فساده يعني فساداً متعددًا، متعدياً، له تبعات وعواقب وخيمة على المجتمع بأسره .

الخير العظيم لمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المبحث الخامس : حفظ المال :

- المطلب الأول : كيفية جمعه وكسبه .
- المطلب الثاني : كيفية إنفاقه .
- المطلب الثالث : التحذير من الافتتان به .
- المطلب الرابع : العلاقات المالية بين الناس .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المبحث الخامس : حفظ المال :

يعد المال^١، عصب الحياة الدنيا، والسيولة التي بها تتم حركة الناس في معاشهم عامة؛ لأن به قضاء الحوائج .

لذا كان ولا بد أن يتناول حديث القرآن الكريم المال من جميع جوانبه، والله عز وجل يريد أن يربط أفراد المجتمع الواحد، بنظام مالي سليم، مبناه قائم على تحقيق الفائدة للفرد، وعلى تحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي، لتظل حاجة كل واحد عند الآخر، في نسق حياتي تكاملي لا بد منه، فتستقيم بذلك الحركة المالية في معيشة سليمة متوازنة .

لذا وضع له ميزاناً وقائياً لا يجيد عنه، حين بيّن مدى أهمية المال في حياة المسلم، فتعامل معه بما يحقق جملة المصالح، والمنافع للجميع، في تعاملات صحيحة لا استغلال فيها، ولا استغلال، ومنع في الوقت نفسه كافة المفساد، والمضار المالية، التي قد تنشأ نتيجة سوء التعامل به، أو في توظيفه توظيفاً غير صحيح .

وتكمن أهمية المال في كونه عصب الحياة، وبه تقضى الحاجيات، وهذا يعني أن الفساد المالي، يعني فساداً كبيراً في عموم التعاملات الأخرى المترتبة عليها، سواء المالية، أو غير المالية أيضاً، وبالتالي الفساد في كافة مرافق الحياة الدنيا .

حديث القرآن الكريم تناول كافة أشكال المال، سواء كان مالياً متمولاً كالنقود، أم صامتاً كالنقدين، أم مملوكاً، أم منقولاً متداولاً كالبيع والشراء بكافة أنواعه، كالأنعام، والدواب، والزروع، كما تحدث عن سائر أنواع المعاملات وصورها، التي تتم به من بيع، وشراء، ورهون، ومدائنت، وعقود، ومكاتبات،

^١ المال : كل ما يملكه المرء من عرض أو كان عقاراً أو نقداً أو أرضاً أو ماشيةً أو ما سوى ذلك .

الخير العميم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

وعطايا، وهبات، وكنوز، ومدخرات، وموروثات . وبهذا يكون قد ذكر جميع أوجه المال، وغطى كافة التعاملات التجارية والمالية فيما بين الناس .
ومجمل الآيات التي تكلمت عن المال دارت حول أربعة محاور، سأتناولها خلال أربعة مطالب، من حيث كونها منهجاً وقائياً :

المطلب الأول : كيفية جمعه وكسبه .
المطلب الثاني : كيفية إنفاقه .
المطلب الثالث : التحذير من الافتتان به .
المطلب الرابع : العلاقات المالية بين الناس .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المطلب الأول : كيفية جمعه وكسبه :

اهتم القرآن الكريم بمسألة جمع المال من حله، ليكون عوناً للمسلم على طاعة الله تعالى، وليجد ثمرة البركة فيه . فشرع له كل طريق مباح، ينمو المال به بوجه صحيح، لا استغلال فيه وفق تعاملات مالية لا مضارة فيها، وحذر من كل تعامل، قد ينمو به المال بطريق الأنانية، والتحايل، والانتهازية، والاستغلال، والاستغلال للآخرين؛ لأن القصد من المال استعماله في النافع المفيد :

١- فقد أباح جمع المال من كل مصدر حلال، لا شائبة فيه، ضمن تعاملات شرعية مباحة، تحقق به منفعة الجميع، فقال تعالى في سورة البقرة : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٢٧٥) .

٢- نهى عن كل علاقات مالية مشبوهة، كالتحايل على الناس، وأكل أموالهم بالباطل، واستغلال نواياهم الحسنة، واستغلال حاجتهم للمال، كل ذلك ممنوع منهي عنه، ليس فيه النفع الصحيح . قال تعالى في سورة البقرة : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١٨٨) .

٣- حرم التعدي على أموال الناس، وأخذها من غير وجه حق، أو كسب حلال مشروع كالسرقة؛ ضماناً لحقوق الناس، فقال تعالى في سورة المائدة : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٣٨) .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

٤- أظهر وخامة ظلم الضعيف، وأخذ ماله، ولا سيما أكل مال اليتيم بالباطل،

وأمر بالإحسان لمن أخذه، بقصد حسن ليشمره، حماية لأموال القاصرين والضعفاء

والمساكين، قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ

أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ۝٣٤﴾ .

٦- نهى عن أكل السحت، وكل مال حرام، من غير وجه شرعي يراد به المنفعة

المتبادلة، المتحققة للجميع، إذ لا مضارة لأحد أبداً . قال تعالى في سورة المائدة :

﴿ وَرَأَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْأَثْمِ وَالْعُدُونِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَبِئْسَ مَا

كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٦٢﴾ .

٧- حذر من بيع كل محرم، ونجس، وخبيث، لا يحقق النفع المتبادل، هذا بالإضافة

لما فيها من ترويج للخبيث، والمنكر، وتسويق له، كان الأولى منعه، وحظره، سلامة

للمجتمع من كل وسائل الضرر قال جلت عظمته في سورة المائدة : ﴿ يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ

لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ۝١٠﴾ .

وهكذا تبين أن القرآن الكريم حين ذكر كيفية جمع المال، وطرق كسبه، أباح

كل ما يحقق المصلحة، والمنفعة للجميع، وحرّم كل تعامل خاطئ لا يقوم على

ذلك الأساس، في منهج وقائي مالي مثمر تام .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المطلب الثاني : كيفية إنفاقه :

في هذا المحور تناول حديث القرآن الكريم مسألة كيفية إنفاق المال، في كل وجه شرعي حق، كوجوه الخير، والبر، والهدى، والتعاون، والرشاد، وحث على الإنفاق وحض عليه، ووبخ وخوف من عاقبة الإمساك، والبخل، والشح؛ لأن المال مال الله سبحانه حوله للبعض، ينتقل من يد لأخرى، لتتنظم به حياة الناس في نسق تكاملي :

١ - فجاء الأمر بإيتاء الزكاة المفروضة، لتحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي، فيما بين الناس، فيؤخذ للفقير من الغني، وللضعيف من القوي، ومن الواجد للمحتاج، ووقاية للقادر من آفات الشح، ووقاية للمحتاج من حرج السؤال، قال تعالى في سورة

المعارج : ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ ۝ .

٢ - حث على الصدقة، بأكثر من نصاب الزكاة المعلوم، ليغطي مدى احتياج المجتمع، من فقراء، وذوي حاجات، والصدقة هي أيضاً حق واجب في المال، غير أن مقدارها غير معلوم، كل ذلك ليستوعب المحتاجين في المجتمع، قال تعالى في

سورة البقرة : ﴿ إِن تَبَدُّوا أَلصَّدَقَتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۗ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا

الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِّن سَيِّئَاتِكُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا

تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۝ .

٣ - بين مصارف الزكاة والمحتاجين لها، حتى لا يضطرب حال الناس في معرفتهم، بحسب تقديراتهم المختلفة، فرصة لمنح المحتاج، وحجبا للمتظاهر بذلك من غير

حاجة ولا فاقة، قال تعالى في سورة التوبة : ﴿ إِنَّمَا أَلصَّدَقَتُ لِّلْفُقَرَاءِ

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَةَ فَلُوهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي

سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ .

٤- اهتم بمسألة إنفاق المال في حله، حاثاً عليه محبباً فيه؛ لأنه بالإنفاق يتواصل الناس، ويترابطون فيما بينهم، ويحنو بعضهم على بعض، وقاية للمجتمع من آفات البخل والشح، وغوائل الغل، والتطلع، والحقد على الواجد، قال تعالى في سورة التغابن: ﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ

لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ .

٥- حذر من عاقبة سوء استغلال المال، حال إنفاقه، في المحرمات والمنكرات، فالواجب في حفظ المال على الوجه الصحيح أمران: الأول، إمساكه عن التلف. والثاني، إنفاقه فيما يستوجب ذلك، بلا شح ولا تقتير، والحرام ليس من ذلك في شيء بكل حال، قال تعالى في سورة الأنفال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ .

٦- اهتم بمسألة العامل النفسي حال الإنفاق، حين معالجة النفس وتطويعها لذلك، كما لو كان يسترضي النفوس، ويستميلها للإنفاق في سبيل الله سبحانه، وقاية للنفس من بوائقها، وشورورها، وغوائلها، قال جلت قدرته في سورة الحشر:

﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ .

٧- حذر من سوء عاقبة إمساك المال، وكنزه، وعدم أداء زكاته، لأن ذلك يعني غاية التعدي على شرع الله سبحانه وتعالى، الذي أوجب الزكاة في المال، حقاً

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

معلوماً، وليس تفضلاً من صاحب المال على غيره، وإحساناً منه، فكل صاحب مال؛ عليه في ماله حق لله تعالى، أوجه سبحانه للمحتاجين، قال جلت عظمته في سورة التوبة: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ

اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ .

٨- حث على قضية الانفاق، في كل وجوه الخير، والبر، داعياً ومشجعاً لقيم التكافل الاجتماعي؛ لأن الأصل في المال تسميره لإنفاقه لا إمساكه، والإضرار به، قال تعالى في سورة البقرة: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْتَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا حُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ .

٩- راعى مسألة الإنفاق من الوسع، وعلى قدر المسلم واستطاعته، في سائر النفقات، سواء الواجبة، أو الجائزة المستحبة؛ لأن الله سبحانه لم يأمر إلا على قدر الوسع، والاستطاعة، والطاقة، مراعاة لكل ذي مال، بحسب وجده قليلاً كان أم كثيراً، قال تعالى في سورة الطلاق: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا ءَاتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ .

١٠- تحدث عن مسألة عدم إفناء المال؛ لأن ضياع المال منهي عنه شرعاً، والأولى الاقتصاد في إنفاقه، بما يحقق النفع والمصلحة، وبما يؤدي الحق المعلوم المفروض فيه، فلا ضرر ولا ضرار؛ لأن المال يساعد على القيام بالمهام والمسؤوليات، وقضاء للحوائج قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِكُمْ إِلَى

التَّهْلُكَةِ ﴿١١٥﴾ .

الخير العميم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

١١- نهي عن التبذير، والإسراف، في المباحات؛ لأن المال إن لم ينفق في أجر يدخر، أو في مصلحة تقضى، كان إنفاقه وبالاً وحسراً على صاحبه، لمن بذره وأسرفه في ماله، قد تقوده للحرام، وقاية للمجتمع من استعماله في الملاهي المتلفة للمال، قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَأَتَىٰ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يَبْذُرْ بَذِيرًا ۗ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ۗ﴾ (٢٦) .

وهكذا اتضح أن القرآن الكريم حين تحدث عن مسألة إنفاق المال، رشّد العباد غاية الترشيد، وعلمهم أيما تعليم، ووجههم خير توجيه، ليضعوا المال حيث يرضي الله تعالى، ويظهر مبدأ التكافل الاجتماعي على الوجه المطلوب .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المطلب الثالث : التحذير من الافتتان به :

في هذا المحور ساق حديث القرآن الكريم جملة من الآيات الكريمة، ليرسي قضية التحذير من الافتتان بالمال، سواء في كيفية جمعه، أم في بيان سوء إمساكه، وكنزه، لدرجة التفتير على النفس والأهل؛ لأن الإنسان كلما كان أنانياً مغوراً بالمال، مفتوناً به، نسي حق الله تعالى منه، وضيع حقوق العباد .

والافتتان بالمال يعني الجهل بالحقيقة التي وضع لها، وإضاعة للحقوق التي تعلق به، والقرآن الكريم ما جاء إلا ليعالج القضايا الكبرى، في الحياة الدنيا، والمال من أهمها ولا ريب . ولذلك :

١- حذر من عاقبة الاغترار به؛ لأن الإنسان متى رأى المال في يده، ظن نفسه قادراً على كل شيء، وربما استعمله فيما يغضب الله تعالى، قال سبحانه في سورة

العلق : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْجَلَنِي ﴿٧﴾ .

٢- كما حذر من مغبة حب المال لدرجة الافتتان به، فالمال وسيلة؛ وليس غاية، وكونه وسيلة يعني استعماله في المنافع . قال تعالى في سورة الفجر :

﴿ وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبَّ جَمًّا ﴿٢٠﴾ .

٣- بين أن المال إنما هو مجرد زينة في هذه الدنيا، يجب الحذر من الافتتان بها، والفتنة في حد ذاتها غالباً ما تكون مشغلة وملهاة عن المقصد الحقيقي من الحياة، وقاية للمسلم من الانشغال به عن مراده سبحانه، الذي وهبه إياه ليقضي مصالحه به ويقوم بواجباته، قال تعالى في سورة آل عمران : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٤﴾ .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

٤- ذكر أن المال لن ينفع صاحبه بعد موته، ما لم يكن قد أحسن التصرف فيه وأرصده لنفسه بالإنفاق منه قبل ملاقاته ربه سبحانه، وفي ذلك دعوة للإنفاق، ووقاية للمسلم من شرور المال وسوء استغلاله، قال تعالى في سورة الحاقة: ﴿ مَا

أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ ۖ ﴾ (٢٨)

٥- بيّن أن المال هو أول مفاتن الدنيا، وزينتها ومتاعها، رغم كونه خير وسيلة تقضى بها الحوائج، فيجب الحذر من المبالغة في ذلك، وقاية للمجتمع من آفات المال وسطوة تملكه، قال تعالى في سورة الكهف: ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ۖ ﴾ (٤٦)

وهكذا تبين أن القرآن الكريم قد اهتم بمسألة التحذير من فتنة المال، واللهث

خلفه، من غير معرفة الهدف الحقيقي له، والمقصد الشرعي منه .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المطلب الرابع : التعاملات المالية بين الناس :

في هذا المحور جاء الاهتمام بمسألة التعاملات المالية، فيما بين المسلمين أولاً، ثم فيما بين المسلمين ومن سواهم ثانياً، فأرسي القرآن الكريم جملة من الوقائيات، ليعرف المسلم كيف يتصرف بماله؛ لأن المال جزء مهم في الحياة، فمن جعله هدفاً له وغاية؛ لا وسيلة وسبباً يتبلغ بها، فقد أساء استغلاله وأجحف في استخدامه كما ينبغي . لذا جاء حديث القرآن الكريم بالمنهج الوقائي الضابط، لتلك التعاملات . فمثلاً :

١- ذكر البيوع والمدائبات، وما يتعلق بذلك من أحكام، ليضع للناس أسس التعاملات التجارية الصحيحة، محققة النفع للجميع، قال تعالى في سورة البقرة :

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ
وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ
فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا
فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ
وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ
فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن رَضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ
إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَؤُا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ
كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا
إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ .

٢- أورد الرهن وما يتعلق به، ليعلم الناس كيفية التعامل حال السفر والحضر، صيانة لهم من الوقوع في خصومات، أو اجتهادات قد تجر عليهم ضرراً، وتوقعهم في مشاحنات لا حصر لها، قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنْ مَقْبُوضَةً فَإِنْ مِنْ بَعْضِكُمْ بَعْضًا فليؤدِّ الَّذِي أَوْتِنَ أَمْنَتَهُ، وَلِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ .

٣- تحدث عن الحقوق الشرعية، كالموارث والفرائض، فحدد بذلك غايات علاقة المسلم بمن حوله حياً وميتاً، وقاية للجميع من مشاحنات محتملة، كقوله تعالى في سورة النساء: ﴿ يُوَصِّيْكُمْ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ آبَاؤُهُ فَلِأُمَّهِ الثُّلُثُ إِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمَّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ءِآبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

٤- أورد تحريم الربا بكافة أوجهه وصوره، لما فيه من غش وظلم عظيمين، وأنانية وانتهازية، واستغلال لأموال الناس بغير وجه حق، واستغلال لهم، وقاية للمجتمع من آثار امتصاص الانتهازية والأنانية، كقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ

الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۗ ﴾ (٢٧٥)

٥- أبان كيفية الخراج، والفيء، وبيّن كيفية تقسيمها، وحدد جنس المستحقين لذلك ليمنع من سواهم من التطلع لشيء منها، كقوله تعالى في سورة الحشر:

﴿ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۗ ﴾ (٧)

٦- تحدث عن الديات، والكفارات، لبيان حقوق الحدود فيما بين الناس، ولم يتركها مجالاً لاجتهادات شخصية قد تجر مشكلات لا تنتهي، كما في الآيات

الدالة على ذلك . قال تعالى في سورة النساء: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوِّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ۗ ﴾ (٩٢)

٨- عين الأصناف المستحقة للزكاة، والصدقة، ليتعاون الجميع في إيصالها لهم، وقاية من التكبس فيها وبها من غير المحتاجين المستحقين لها، قال تعالى في سورة

التوبة: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

فُلُوهُمْ فِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ .

٩- بيّن أن نصيب الذكر ضعف الإنثى حال الميراث؛ لأنه المصدر المنفق على الأسرة، القيم على مصالحها، الساعي على شؤونها، حماية لأفرادها من الشتات والضياع . قال تعالى في سورة النساء :

﴿ يُوْصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّاتِ ﴾ ﴿١١﴾ .

والمحصلة هي أن القرآن الكريم حين بين كافة التعاملات التجارية، والتصرفات المالية، الصحيحة الرشيدة، أراد أن يتعامل العباد في ظلها، لا يخرجون عن مضمون ما جاء به، ليرسي لهم المنهج القرآني الحق، وكفى بذلك منهجاً حقاً للجميع .

وهكذا اتضح أن القرآن الكريم حين تكلم عن المال من حيث الجملة، ذكر كل ما يخصه من متعلقات، ومن كل وجه . فذكر آيات عن كيفية جمعه من حله، وآيات عن كيفية إنفاقه فيما يرضي الله تعالى، وآيات تحذر من الافتتان به، وآياته بيّن كيفية التعاملات المالية وفق المنهج الشرعي .

وبهذا كان حديث القرآن الكريم عن عموم مفاصل المال، في إرساء لجملة من التشريعات، التي وظفت المال بالضبط، وجعلته في نصابه على الوجه الصحيح . وبهذا كان التوجيه القرآني الوقائي، خير وعاء حفظ المال، وحفظ به الحقوق، وكل ما يتعلق به، من تعاملات مترتبة عليه، فيما بين عموم البشر، وفيما بين الخلق وخالقهم العظيم سبحانه .

الخير العميم لمنهج الوقائي في القرآن الكريم

ولهذا أولى القرآن الكريم موضوع المال اهتماماً بالغاً، حتى لا ينشأ عن التعامل به أدنى مفسدة؛ لأنه متى حصل فهو فساد متعدد الاتجاهات، يشقى به الجميع، سواء كان ذلك بسوء إمساكه بالشح فيه، أو بالافتتان به، أو في إنفاقه في غير حل، أو المضارة به وفيه .

الخير العظيم لمنهج الوقائي في القرآن الكريم

الفصل الثالث : أساليب القرآن الكريم في المنهج الوقائي :

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : في الدلالة اللفظية :

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الأمر والنهي الصريحان .

المطلب الثاني : ما يدل على معنى الأمر والنهي .

المبحث الثاني : الأساليب الوعظية :

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : القصص القرآني .

المطلب الثاني : ضرب المثل .

المطلب الثالث : الاعتبار بالسنن الكونية .

المطلب الرابع : الذكر بالضد (صفات المؤمنين، وما يقابلها من صفات

الكافرين) .

الخير العميم لمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المبحث الأول : الدلالة اللفظية :

- المطلب الأول : الأمر والنهي الصريحان .
- المطلب الثاني : ما يدل على معنى الأمر والنهي .

الخبر العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المبحث الأول : الدلالة اللفظية :

اللغة العربية بحر لا ساحل له، وقد جاء القرآن الكريم بلغته الفصحى الجزلة، بأكثر مما يعرفه العرب، واعتادوه في حياتهم، من مفردات لغتهم وبلاغتها، وأساليب كلامهم وفصاحتها، بكلمات، ومفردات، وألفاظ، وصيغ، ما عهدوها في تلوين، وتنويع، وعرض، فصيح بليغ، فاق ما يعرفون وتجاوز ما إليه ينتهون، حين استعمل أساليب عربية بلاغية، بيانية، بديعية .

مايز بها الخطاب المعتاد، فأتى على كل ما عند العرب، من فصاحة وبلاغة، وزاد عليها وأفاض، وعلمهم المنهج الوقائي، بتلك الأساليب الخطابية البديعة، وشد انتباههم إلى ألفاظ وكلمات، من جنس ما كانوا يستعملون، لكنها بصوغه وأساليبه وسياقاته أعطت أكثر مما يعرفون، فوقاهم في حاضرهم بحسب فهمهم وإدراكهم لمراداته في حينه، ووقاهم في مستقبلهم بما في تلك الكلمات والألفاظ من مدلولات ومضامين، باقية ببقاء الدين، كإعجاز لغوي لفظي، لا تقف عطاءته عند حد الزمان، بل إنها لا تزال تعطي كثيراً .

وقد استعمل القرآن الكريم ذلك العرض البليغ، الرائع، الشائق، المعجز، من جميع نواحيه البيانية، والبلاغية، واللفظية، واللغوية، والتشريعية، والعلمية، استعمل ذلك في قوالب لغوية صغيرة، هي الآيات، اتصفت بدقة النظم، والإفهام المتقن، وإرضائه العقل والعاطفة، وجودة السبك وإحكام السرد، وتعدد الأساليب واتحاد المعنى، والجمع بين الإجمال والبيان، وإيجاز اللفظ مع وفاء المعنى، وتصوير المعاني . وظف خلالها كل أغراضه، وأهدافه، ومقاصده، التي جاء بها ولها .

والبلاغة القرآنية بأساليبها فائقة الحد، باللغة الحسن، حاوية المقاصد، لا يرقى إلى حسننها، وجزالتها، وقوتها، وعمق معانيها، وسمو غاياتها، شيء .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

ولهذا كانت لغة القرآن الكريم الفريدة، هي اللغة الأصل، التي استوعبت أكثر مما استوعبته القواميس، والمعاجم العربية الفصحى، فصار القرآن الكريم بذلك هو المقياس؛ الذي يقاس عليه، وهو القاموس؛ الذي يستخرج منه، وهو المعجم؛ الذي يبنى عليه .

وكل ذلك في آيات تتكون من مجموعة ألفاظ مختارة بعناية، بحيث لو تغيرت لاختلف المعنى، واحتل السياق الإعجازي، والتركيبي اللفظي، فمجموع آيات القرآن الكريم (٦٢٣٦) آية، تزيد قليلاً أو تنقص، بحسب اختلاف روايات علم القراءات، ومع هذا فقد حوى ذلك العدد من الآيات، وهو ليس بكثير؛ حوى ما لا حصر له من التشريعات، والتعاليم، والتوجيهات، القرآنية، فرب آية واحدة جاءت بتعاليم كثيرة، وتوجيهات عديدة .

لذا فمن عمق بلاغة القرآن الكريم أن أسلوبه العظيم جاء محتملاً لوجوه إعجازية كثيرة، كلما تقدم الإنسان في مجال العلم والمعرفة كشف القرآن الكريم مدى غزارة ألفاظه، التي استعملها في النص، ومدى إفادته لأمر لم تكن لتفهم في حينها، ولكن القرآن الكريم ترك فهمها للبشر، بحسب تقدمهم العلمي والمعرفي بوجه عام .

وبهذا تعد الألفاظ والأساليب القرآنية، كما لو كانت مخزناً تفيض بالمعاني والمعطيات، فالتعبير القرآني أقصر وأوضح وأشمل وأبلغ في المعنى . لكل جيل عطاء، يرتبط بما فتح الله تعالى لهم؛ من علوم ومكتشفات .

والآيات بذلك تحتمل بل وتستوعب ما جد من جديد، وهذا ما أعطى للقرآن الكريم ميزة بلاغية فائقة واضحة، فالقرآن الكريم بعمومه مكون من سور، والسور مكونة من آيات، والآيات مكونة من كلمات، والكلمات من أحرف، كل ذلك

الخبر العظيم لمنهج الوقائي في القرآن الكريم

بتراكيب وأساليب ودقة عجيبة، تميزت بحسن العبارة وجودة الفكرة والتأثير في السامع . من خلالها بنى القرآن الكريم منهجه الوقائي . بلاغة لا نظير لها .
وقد تميزت الأساليب القرآنية بميزات كثيرة، وإجمالاً يمكن تقسيم تلك الأساليب البليغة، التي استعملها القرآن الكريم لبيان مقاصده، وتأصيل مراداته، وإظهار أهدافه، إلى أسلوبين بيانين بلاغيين . سأعرض كل أسلوب في مطلب :
المطلب الأول : الأمر والنهي الصريحان .
المطلب الثاني : ما يدل على معنى الأمر والنهي .

الخبر العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المطلب الأول : الأمر والنهي الصريحان^١ :

أسلوب^٢، القرآن الكريم هو الطريقة التي يفصح بها عن نفسه، فهي طريقة التعبير القرآني لفهم الخطاب^٣، في سياقه^٤، لبيان مرادات الآيات ومقاصدها .
 وأسلوب التعبير القرآني هذا، خاطب به تبارك وتعالى عموم الخلق، مستغرقاً بذلك عرض الزمان؛ من مبعث محمد ﷺ وإلى قيام الساعة، بجوامع الألفاظ، وأغناها، وأدلتها، وأخيرها، للدلالة على المعنى .

وقد اتسم التعبير القرآني، وسياق الآيات، وأسلوب الخطاب فيه، بدقه فاقت كل دقة، وببلاغة تجاوزت كل بلاغة لها مرونة واستغراق، تخلل ذلك العرض البليغ الموجز سبك المنهج الوقائي فيه، بسياقات وألفاظ وصيغ متعددة ومتنوعة، فبحسب موضع اللفظ يتغير معناه، استعملها القرآن الكريم في الدلالة على مراده ومنهجه الوقائي الحق .

وألفاظ القرآن الكريم وأساليبه متفاوتة الدرجة، من حيث درجة الإلزام بها، أمراً ونهياً، أو حثاً وحضاً، وما إلى ذلك، الهدف منها والمقصد الرئيس لها، من حيث العموم تحقيق المنهج الوقائي، وصدق سبحانه القائل جلت عظمته في سورة هود :

﴿الرَّكَيبُ أَحْكَمُ مِنْهُ، ثُمَّ فَضَّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ .

^١ الأمر : طلب فعل الشيء . والنهي : طلب الكف عن شيء ما . سواء مادياً أو معنوياً .

^٢ الأسلوب : طريقة الكتابة، أو الإنشاء، أو اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير .

^٣ الخطاب : الكلام .

^٤ سياق الكلام : تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه .

الخبر العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

والأمر والنهي الصريحان جاءا بالمنهج الوقائي في القرآن الكريم، بأساليب كثيرة وصيغ^١؛ عديدة، ورد بها الخطاب القرآني، بحسب سياق الآيات، ومفاد التوجيه الرباني فيها، مجملها يندرج ضمن ثلاثة سياقات أو صيغ :

١- صيغ الأمر : وهي كل صيغة وردت في القرآن الكريم أفادت الفعل اللازم، وتختلف تلك السياقات والأساليب بحسب صيغة الأمر الواردة في الآية، بما يناسب مقاصدها وأهدافها . فهي :

أ- صيغة الأمر الصريح : كقوله تعالى في سورة الأعراف : ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ (٢٩) .

ب- صيغة المضارع المجزوم بلام الأمر : كقوله تعالى في سورة الطلاق : ﴿ لِنُفِقْ دُونَ سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ﴾ (٧) . والتقدير : أنفقوا من سعتكم .

ج- صيغة اسم فعل الأمر : كقوله تعالى في سورة المائدة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا تَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ (١٠٥) . والتقدير : أي الزموا شأن أنفسكم واحفظوها .

د- صيغة المصدر النائب عن فعل الأمر : كقوله تعالى في سورة محمد : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾ (٤) . والتقدير : فاضربوا الرقاب .

^١ الصيغة : الكلمة على هيئتها الحاصلة من ترتيب حروفها وحركاتها .

الخبر العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

٢- صيغة النهي : وهي صيغة واحدة فقط وردت في القرآن الكريم، أفادت الكف عن الفعل، تعرف بصيغة (المضارع المقرون بلا الناهية) . كقوله تعالى في سورة الأنعام : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ (١٥٢) .

٣- صيغ مشتركة : وهي كل صيغة وردت في القرآن الكريم، احتملت الأمر والنهي سواء، وبحسب سياق الكلام ومفاده نفهم المقصد إن كان للأمر أو النهي، وهي كثيرة أهمها : "الدعاء، الالتماس، الإرشاد، التمني، الترجي، التيسير، التخيير، التسوية، التعجيز، التهكم والإهانة، الإباحة، التويخ والتأنيب والتفريع، الندب، التهديد، الامتنان، الاحتقار والتقليل من أمر الشيء، الإنذار، الإكرام، التكوين، التكذيب، المشورة، الاعتبار، التعجب أو التعجيب" . إلى غير ذلك من معان .

وقد تبوأ الأسلوب الصريح من عموم أساليب الخطابات الواردة في القرآن الكريم، المكانة المقدمة في ذلك، لما له من قوة ووضوح، ودلالة مباشرة لمضمون الآية ومدلولها .

وخطابات القرآن الكريم كثيرة؛ متعددة الأساليب متنوعة السياقات، وردت على خمسة عشر وجهاً، وهي الخطاب : "العام، والخاص، والجنس، والنوع، والعين، والمدح، والذم، وخطاب الجمع بلفظ الواحد، والواحد بلفظ الجمع، وخطاب الجمع بلفظ الاثنين، (وخطاب الاثنين) بلفظ الواحد، وخطاب الكرامة، وخطاب الهوان، وخطاب العين والمراد به غيره، وخطاب التلؤن"^١ .

^١ الفيروز أبادي . بصائر ذوي التمييز . ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية . ج ١، ص ١٠٨ .
وقد ذكر الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن . ط ١، دار الكتب العلمية . ج ٢، ص ١٣١ :
(أن عدد وجوه المخاطبات والخطاب في القرآن الكريم تأتي على نحو من أربعين وجهاً) .

الخبر العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

وهذه الخطابات عامة، موجهة للمخاطب بوجه واضح وصريح، بخلاف خطابات التلون التي تختلف من حيث انتقال الخطاب ما بين المخاطب والمخبر عنه؛ وهو الذي يسميه أهل اللغة بالإلتفات، أي: انصراف المتكلم من المخاطبة إلى الإخبار، ومن الإخبار إلى المخاطبة، أو الانصراف من معنى إلى معنى آخر. هذا النوع من الخطابات في القرآن الكريم جاء على ثلاثة أوجه:

الأول- أن ينتقل من الخطاب إلى الخبر، كقوله تعالى في سورة الروم: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبِّا لِّرَبُّوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُّوَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجَهَ اللَّهِ﴾ . ثم قال: ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ (٣٩) . نلاحظ بداية الخطاب كانت للجميع بلفظ (آتيتم)، ثم انصرف إلى للإخبار عن الجزاء بلفظ (فأولئك).

الثاني- أن ينتقل من الخبر إلى الخطاب، كقوله سبحانه وتعالى في سورة الإنسان: ﴿وَسَقَاهُمْ مِنْهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ (١١) . ثم قال: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا﴾ (١٢) . نلاحظ هنا إخباره سبحانه عن جزاء أهل الجنة بلفظ (وسقاهم) ثم عدل إلى المخاطبة بلفظ (لكم) .

الثالث- أن يكون الخطاب لمعين، ثم يُعدّل إلى غيره، كقوله تعالى في سورة الفتح: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٨) . ثم قال: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (٩) . نلاحظ هنا الخطاب كان للرسول ﷺ بلفظ (أرسلناك) ثم عدل عنه إلى مخاطبة الأمة بلفظ (لتؤمنوا) .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

وهذا النوع من الخطاب، الذي يعدل فيه بين المخاطبين، عادة يكون لواحد، وهو محمد ﷺ ومن ثم يعدل الخطاب للأمة من بعده . وإجمالاً فهو يأتي في القرآن الكريم لمقاصد عديدة، أرسى خلالها جملة من الوقائيات :

١- فقد يأتي الخطاب للدلالة على الفعل؛ وحصوله من غيره ﷺ بطريق الأولى، كقوله تعالى مخاطباً نبيه الكريم ﷺ في سورة آل عمران : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (١٢٨) .

٢- وقد يأتي اعتناءً بالزام المخاطبين، كقوله تعالى مخاطباً نبيه ﷺ في سورة النساء : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَالْهُؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ (٧٨) .

٣- وقد يأتي للمبالغة في تشریف المؤمنين، كقوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ نِسَاءُكُمْ حَرَّتْ لَكُمْ فَأَتُوا حَرَّتْكُمْ أَنْتُمْ وَقَدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٢٣) .

٤- وقد يأتي مبالغةً في حمل الأمة على الامتثال، كقوله تبارك وتعالى مخاطباً نبيه الكريم ﷺ في سورة البقرة : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ (٢٧٢) .

٥- وقد يأتي تنبيهاً على أن الحجة قد لزمّت، ولم يبق بعد ذلك لأحد عذرٌ في عدم القبول، كقوله سبحانه وتعالى في سورة النساء : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ .

وبذلك يتضح أن مجمل خطابات القرآن الكريم الواضحة الصريحة، التي جاءت دالة على مراد الله سبحانه وتعالى، المتضمن المنهج الوقائي؛ تندرج إجمالاً ضمن حالتين اثنتين، بحسب وجهة الخطاب ودلالة السياق منها :

الأول : الأسلوب الخطابي (العام) :

كل خطاب في القرآن الكريم جاء متضمناً تشريعاً، من أمر أو نهي، تناول في مضمونه الأمر بالوقاية، سواء اختص بالجانب المادي، أو اختص بالجانب المعنوي . فكل آيات القرآن الكريم التشريعية، ومقاصدها، وأهدافها، جاءت مشتملة على ذلك . وبلاستقراء؛ وجد أن آيات الأمر والنهي الصريحان في القرآن الكريم، والتي جاءت بأساليب كثيرة؛ وردت مجملها بأربعة ألفاظ :

١- الأمر الصريح الملزم إلزاماً مباشراً : والذي صرح فيه ذكر لفظ (الوقاية) كقوله تعالى في آيات كثيرة من سور كثيرة : ﴿ يَتَّيِّبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ . والأمر الصريح بالتقوى، يعد من أقوى صيغ تحقيق الوقاية وأساليبها، لما ورد في الآية الكريمة .

٢- الأمر الصريح الذي لم يصرح فيه ذكر لفظ (الوقاية) : كقوله تعالى في سورة آل عمران : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ط فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ . وكل أمر رباني يراد به على وجه الحقيقة، تحقيق الوقاية فيه ولا ريب، وإن لم يرد في الآية لفظ الوقاية صراحة .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

٣- النهي الصريح الملزم إلزاماً مباشراً : والذي صرح فيه ذكر لفظ (الوقاية) كقوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ وَأَمِنُوا بِمَا آنَزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا
أُولَ كَافِرِينَ بِهِ وَلَا تُشْرِكُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونَ ﴿٤١﴾ . والنهي الصريح المقترن بلفظ التقوى أيضاً، يعد من أقوى صيغ تحقيق الوقاية وأساليبها، لما نعت عنه الآية الشريفة .

٤- النهي الصريح الذي لم يصرح فيه ذكر لفظ (الوقاية) : كقوله تعالى في سورة الحجرات : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْخَرُوا مِن قَوْمٍ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ
وَلَا نِسَاءً مِّن نِّسَاءِ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ
بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُم الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ .
وكل نهي رباني يراد به الوقاية على وجه الحقيقة، لما تضمنه النص من منهيات .
وبهذا يتبين أن القرآن الكريم استعمل اللفظ الصريح، الدال على الأمر والنهي، في الدلالة على الوقاية، لما حواه سياق الآيات بكل وضوح .

الثاني : الأسلوب الخطابي (الخاص) بالنبي ﷺ :

كل خطاب في القرآن الكريم توجه للنبي ﷺ في البدء بصيغة التشريع مما ليس هو من خصوصيات النبوة، فهو له ﷺ وللأمة من بعده ولا ريب . هذه هي حكمة التشريع .

وقد وجد بالاستقراء أن القرآن الكريم يخاطب النبي الأكرم ﷺ بخطاب لفظه خاص والمقصود منه تعميم الحكم لجميع الأمة، ويتباين هذا النوع من الخطابات؛ من حيث الأساليب والسياقات القرآنية بوجه عام، ومن حيث تحقق المنهج الوقائي

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

من خلاله، في كلا حالي الأمر أو النهي . والأمة في كل حال معنية بذلك، وما رسول الله ﷺ إلا مبلغ عن ربه سبحانه الشرع المطهر . وحالات ذلك :

١- الأمر والنهي الصريحان، باستعمال لفظ الوقاية في الخطابات الموجهة له ﷺ،

هي له ﷺ ولأمتة من بعده، قال تعالى في سورة الأحزاب : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ ۖ

وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ .

٢- الأمر والنهي الصريحان، من غير استعمال لفظ الوقاية في الخطابات الموجهة له

ﷺ، هي له ﷺ ولأمتة من بعده، قال تعالى في سورة محمد : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا

اللَّهُ وَأَسْتَعْفِرُ لَذُنُوبِكِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثَوِّبِكُمْ ﴿١٩﴾ .

٣- الأمر والنهي الصريحان، ببيان حقيقة بشرية ﷺ وأنه كباقي الخلق في تكوينه

البشري، قال جللت قدرته في سورة الأعراف : ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا

إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ۗ إِنْ

أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ .

٤- الأمر والنهي الصريحان، ببيان حقيقة منهج رسالته، والهدف من مبعثه ﷺ قال

تعالى في سورة الشورى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۗ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا

الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ ۖ مَنْ نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا ۗ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ

صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ .

٥- الأمر والنهي الصريحان، بذكر أقوال النبي ﷺ وخطاباته في القرآن الكريم، قال

تعالى في سورة الجن : ﴿ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا

﴿٢٢﴾ .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

٦- الأمر والنهي الصريحان، بذكر بعض أوصاف النبي ﷺ حري بمن بعده الاتصاف بها، قال تعالى في سورة آل عمران : ﴿ فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (١٥٩) .

٧- الأمر والنهي، بذكر أحوال النبي ﷺ وتصرفاته قال تعالى في سورة التحريم : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَنَّىٰ مَرْضَاتٍ أَرْزَأَكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) .
قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (٢) .

٨- الأمر والنهي، ببيان أنه ﷺ أسوة للخلق، في كل شيء يجب الاقتداء به، قال تعالى في سورة الأحزاب : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢١) .

وبهذا يظهر أن القرآن الكريم استعمل كل أنواع الخطاب الموجه له ﷺ ليكون للأمة من بعده، فهو ﷺ المعلم لأمته، إلا فيما يخص مقام النبوة والرسالة الخاص به ﷺ .

الخير العميم المنهج الوقائي في القرآن الكريم

المطلب الثاني : ما يدل على معنى الأمر والنهي :

عموم الخطابات والسياقات القرآنية التي تحدثت عن المنهج الوقائي، إنما جاءت لتحقيق أحد أمرين هما : (افعل ولا تفعل) استعمل القرآن الكريم خلالها أساليب كثيرة متعددة، للدلالة على الوقاية، أساليب لغوية، وبلاغية عديدة، من غير الأساليب الصريحة، منها ما جاء دالاً على فعل أمر خرج عن معناه الأصلي، ومنها ما جاء دالاً على نهي خرج عن معناه الأصلي، ومنها ما جاء محتملاً الوجهين معاً .

والقرآن الكريم حين ينوع الخطاب، ويعدد أساليبه وألفاظه، يكون بذلك قد وافق كل ما عند الإنسان من انفعالات ورغبات نفسية، ووافق كل ما عنده من شهوات قلبية، ووافق كل ما عنده من طاقات وأفكار عقلية، فتارات يخاطبه بأساليب الترغيب والتحبیب، ليوقفه على الحق جليلاً لا مرية فيه .

وأيضاً وافق كل ما في النفس من جنوح وانحراف، ووافق كل ما في القلب من إثارة وعنفوان، ووافق كل ما في العقل من شطح وشرود وخيال، فخاطبه تارات بأساليب الترهيب والتخويف، ليرده إلى الحق رداً هيناً مبيناً لا يجيد عنه .

حتى أسلوب الالتفات والتلون والذي ركز فيه القرآن الكريم على الخطابات الموجهة للنبي ﷺ والأمة من وراء ذلك؛ فيه إشارات لطيفة وأساليب مرققة، خوطب بها الأعلى شأنًا ليمسك بها الأدنى من باب الأولى، ومن باب القدوة والتأسي .


ويلاحظ أن هذه الأساليب القرآنية المتنوعة، والمتباينة، قد وظفها القرآن الكريم التوظيف المنضبط، ليوافق خلالها كل أحوال المخاطب، سواء التي ترغبه وتستميله، أو التي ترهبه وتخوفه، أو التي تبين له الحق كل بيان، بحيث لا يبقى معها أدنى حجة لمحتج، أو اعتراض لمعترض أبداً .

الخير العميم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

وبهذا يكون القرآن الكريم قد جاء على كل ما يمكن أن يحقق به مفهوم المنهج الوقائي تماماً، وما ترك أية طريقة، أو أي أسلوب، إلا وقد استعمله في إرساء ذلك، ليحقق مراده بالدقة المتناهية، وعلى الوجه المطلوب .

وعموم هذه الأساليب الواردة بحسب سياق الآيات، على اختلاف تصنيفها عند أهل اللغة، سواء ضمن علم البيان أو المعاني أو البديع، يمكن أن تقسم إلى ثلاثة أساليب رئيسة، تحوي كل معاني الأمر والنهي اللذين خرجا عن معناهما الصريح :

أولاً- أساليب الترغيب : تجلّى ذلك في كثير من الآيات التي اتسمت بأساليب ترغيبية كالإغراء، والحث، والحض، والتشويق، والبشارة، والتحييب، والترقيق، وما إلى ذلك من أساليب تأتي من حيث الإجمال بمعنى الأمر^١، بحسب السياق ودلالة الخطاب .

وقد استعمل القرآن الكريم فيها كلمات وألفاظ مرققة، ومؤثرة، في محاولة استمالة النفوس، وإقناع العقول، والتأثير على القلوب، وإبراز محاسن هذا الدين ومنهجه الوقائي الحق، كقوله جل ربنا في علاه في سورة الزلزلة : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾  . فالتقليل هنا يراد به غاية الإغراء والتحضيض، بأقل عمل صالح ينفع صاحبه يوم القيامة . ومن جملة أساليب الترغيب تلك :

^١ الحديث هنا عن أساليب جاءت بمعنى الأمر على اختلاف تصنيفها عند أهل اللغة، سواء كانت مدرجة ضمن علم البيان أو المعاني أو البديع . وليس ذكر صيغ الأمر آنفة الذكر .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

١- أسلوب الحث والتحضيض، والحث هو الترغيب في فعل الشيء، أما الحض فهو الترغيب على فعل الشيء أو على تركه، وهما أسلوبان قرآنيان يراد بهما الدعوة اللطيفة لفعل ما يحقق المصلحة والمنفعة للمسلم، ويدراً عنه المفسدة والمضرة، من

باب التحفيز للفعل الوارد في الآية، كقوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمُّ

أَخُوهُمْ نُوْحٌ أَلَّا تَتَّقُونَ ﴿١٦﴾ . وحرف (ألا) هنا يستعمل للعرض والتحضيض.

٢- أسلوب المدح، وهو الثناء باللسان على الفعل الحسن، ويكون عادةً على الأفعال التي يحبها الله تعالى ويرضاها، وفي ذلك دعوة للمسلم لفعل كل ما يستوجب عليه المدح، للفوز بالجزاء الحسن، والبعد عما يخالف ذلك، كقوله تعالى

في سورة النحل: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ

وَلِنِعْمِ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ .

٣- أسلوب التأييد، وهو النصرة والمعونة، ويأتي من باب إظهار معونة الله تعالى لعبده المسلم، جزاء إيمانه، وطاعته، وانقياده لأمره عز وجل، كقوله تعالى في سورة

التوبة: ﴿ إِلَّا نَصْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ

أَثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعَنَا

فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ

كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ

عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ . ويضاد التأييد، الخذلان حال اقتراف العبد كل ما

يغضب الله تعالى .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

٤- أسلوب التحنن، والاستعطاف، وكلاهما يراد به إعلان الخضوع بغية استدرار

الشفقة والرحمة فيما بين المتخاصمين، كقوله تعالى في سورة النحل : ﴿ وَإِنْ

عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۗ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ

﴿ ١٦٦ ﴾ . ففي الآية ترقيق للمسلم وتحنين لقلبه، استعطافاً له، وتحفيزاً ليعفو عن

أخيه، ويصفح عن العقوبة، وفي ذلك تعليم رباني في كيفية التعامل لما يقع بين

المسلمين حال الخلاف، وهذا في حد ذاته وقاية لهم، وتوجيه وإرشاد في مثل هذه

المواقف .

٥- أسلوب الامتنان، وهو العطاء بلا استحقاق، ويأتي من باب التذكير بنعمة من

نعم الله تعالى على خلقه، والتحذير من كل ما يستوجب منعها، وحرمان العبد

منها، كقوله تعالى في سورة الأنفال : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنَمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ

إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿ ٦٩ ﴾ .

٦- أسلوب إظهار القدوة الحسنة^١، وقد تركز أسلوب القرآن الكريم في ذلك،

بالدعوة للتخلق بخلق الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، ولا سيما خلق نبينا

الكريم ﷺ بالدرجة الأولى، كقوله تعالى في سورة القلم : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ

عَظِيمٍ ﴿ ٤ ﴾ .

٧- أسلوب مخاطبة الوجدان وانفعالات النفس، والوجدان : إحساس المرء بما في

باطنه، كقوله تعالى في سورة الرعد : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ

^١ القدوة : التقدم على الغير في مجال واحد، أما الأسوة فهي التقدم عليه في كل مجال من مجالات

الخير والبر .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

أَلَا يَذَكِّرُ اللَّهُ تَطْمِينُ الْقُلُوبِ ﴿٢٨﴾ . ففي مثل هذه الآيات تشعر النفس بمدى الارتياح والطمأنينة؛ لأنها لامست ما بداخلها من خلجات، ونزوعات، ووجدانيات، وانفعالات، وفي ذلك دعوة لتخلق بها والتمسك بما يحقق ذلك، وهذا في حد ذاته وقاية لما دعت إليه الآية .

٨- أسلوب إظهار مدى حرص الرسول ﷺ على أمته لهدايتهم، وهو أسلوب قرآني كبير يبرز غاية سماحة هذا الدين، وكرم سجايا هذا الرسول الكريم ﷺ المبعوث رحمة للعالمين، كقوله تعالى في سورة التوبة : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ . وهذا في حد ذاته وقاية تعصم من الهلاك بمخالفة أمره ﷺ وأمر الله جلّت عظمته .

وهكذا تبين أن القرآن الكريم قد استعمل أساليب ترغيبية كثيرة، لتحقيق مقاصده، وأغراضه، وأهدافه، ومساعدته، والتأكيد عليها، لكل ما يريد الأمر به، أمراً صريحاً أو ضمناً بحسب سياق الآية، وقاية للناس متى تمسكوا بمنهجه .

ثانياً- أساليب الترهيب : تجلّى ذلك في كثير من الآيات، التي اتسمت بأساليب ترهيبية كالتخويف، والتهديد، والتحذير، والوعيد، والتوبيخ، والندارة، والتنفير، والتهكم، وما إلى ذلك من أساليب تأتي في معنى النهي، ساقها القرآن الكريم للدلالة على المنهج الوقائي، على اختلاف درجات النهي فيها تحريماً، أو تنزيهاً، أو كراهة، بحسب السياق ودلالة الخطاب .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

وقد استعمل فيها القرآن الكريم كلمات مفزعة في محاولة زجر النفس وردعها عن طغيانها، ومنع العقل عن الاستمراء في غيه، وقسر القلب عن جموده وصلفه، بإظهار مساوئ الانحراف عن المنهج الحق، أو الخروج عن مضمونه، كقوله تعالى في سورة الزلزلة: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۗ ﴾ (٨) . فالتحقير هنا يراد به غاية التخويف والترهيب، من أدنى عمل سيئ قد يوبق صاحبه يوم القيامة . ومن جملة أساليب الترهيب تلك :

١- أسلوب التعريض، وهو إفهام السامع بالمراد من غير تصريح القول، ويكون عادة بذكر فعل الآخرين الخاطيء؛ المشابه من حيث العلة، المستوجب لذات العقوبة، وذلك بقصد التحذير من الوقوع في مثله، وهذا في حد ذاته وقاية، كقوله تعالى في سورة يونس: ﴿ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَئِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ۗ ﴾ (٦٠) .

٢- أسلوب التهكم، وهو إخراج الكلام على ضد مقتضى الحال، استهزاء بالمخاطب، من باب التنكيل والاستخفاف به والاستهزاء بالقول معه؛ جراء إعراضه عن الحق، وتجاهله لصوته الذي لا يخفى، كقوله تعالى في سورة الكهف: ﴿ وَإِنْ يَسْتَعِثُوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ۗ ﴾ (٢٩) .

٣- أسلوب التنفير، وهو الدعوة للبعد عن الشيء، ويكون برسم صورة موحشة عما يراد النهي عنه، بقصد تبشيع الفعل المنبوذ واستنكاره، كقوله تعالى في سورة الحجرات: ﴿ وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۗ ﴾ (١٢) .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

٤- أسلوب التلهف والتحسّر، على الشيء الفاتئ، بذكر المآل الأليم الموجب للحسرة والندامة والتخويف منه؛ لأن ذكره قبل ملاقاته والوقوع فيه، وقاية للسامع من الصيرورة إليه، ولا ريب، كقوله تعالى في سورة الزمر: ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي

عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ﴾ (٥٦) .

٥- أسلوب التحذير، وهو التحرز من الشيء مع الخوف منه، ويأتي من باب ترتب العقاب على المخالفة متى وقعت، والتنبيه على ذلك قبل وقوع المخذور

والمكروه، كقوله تعالى في سورة التكاثر: ﴿ أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ (١) .

٦- أسلوب التعجيز، والعجز الضعف وعدم القدرة، وهو يأتي من باب المجازاة في القول، لإظهار ضعف المخاطب، وفقره، وقلة حيلته، كقوله تعالى في سورة فاطر:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنَّ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴾ (٤٠) .

٧- أسلوب الإنكار، وهو الاستفهام عما لا يتصور، ويراد به عادة التعجب من التعامي، والتغافل عن شيء، بيّن لا يحتاج لإيضاح؛ لغاية وضوحه وبيانه، كقوله

تعالى في سورة التوبة: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٦) .

٨- أسلوب التأنيب، وهو المبالغة في التوبيخ والتعنيف، ويكون عادة بارتكاب الشيء المكروه والمنهي عنه، وهذا في حد ذاته وقاية، قال تعالى في سورة الأحقاف

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدْهَبْتُمْ طِبْيَتَكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتُمْ بِهَا فَأَيُّكُمْ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ .

٩- أسلوب رد الإدعاء الباطل، وهو أسلوب قرآني كبير استعمل فيه القرآن الكريم رد الحجج، وفضح الأكاذيب، وكشف الأراجيف، وإبطال المزاعم، كقوله تعالى في

سورة المائدة : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ أَحْبَبَتُوهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ﴿١٨﴾ .

١٠- أسلوب التكذيب، والكذب كل ما خالف الواقع، وهو يأتي من باب فضح

إدعاء المخاطب، وزيف قوله وبطلان حجته، كقوله تعالى في سورة الجمعة : ﴿ قُلْ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ

كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ .

وبهذا اتضح كيف استعمل القرآن الكريم أساليب ترهيبية كثيرة، نبه من خلالها

المسلم وحذره من الوقوع في أمور نهى عنها ربنا جل في علاه، في منهجه الوقائي

الحق التام . وأسلوب الترهيب أسلوب قرآني كبير .

ثالثاً- أساليب البيان : تجلّى ذلك في كثير من الآيات، التي اتسمت بأساليب

بيانية، كالإعلام، والتقرير، والتحقيق، والتعليق، والإشارة، والعرض، والتذكير،

والاعتبار، وما إلى ذلك من أساليب استعملها القرآن الكريم للدلالة على المنهج

الوقائي، جاءت محتملة الأمر والنهي معاً .

وقد تنوعت تلك الأساليب البلاغية، من حيث انتقاء الكلمات، التي من

خلالها لامس القرآن الكريم غايات النفوس، وأبعاد العقول، وتقلبات القلوب،

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

فوجه حينها الخطاب التوجيه الصحيح المناسب لحال المخاطب، بأساليب وافق فيها كل حالاته وأحواله، في محاولة لإيقاف العقل والقلب والنفس على مراد الله سبحانه، وقبول الحق الذي جاء من عنده، والإعراض عن الباطل كقوله عز وجل في سورة الممتحنة: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ﴾ .
ومن جملة تلك الأساليب :

١- أسلوب التحقيق، وهو الثبوت والمعرفة، ويأتي من باب تأكيد مفاد الخطاب، بذكر سبب ذلك وبيانه، وهذا ولا ريب وقاية لما ورد في الآية من مفاد، وفي الوقت نفسه تحذير من مخالفته، كقوله تعالى في سورة المؤمنون: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۗ﴾ .

٢- أسلوب التعليق، وهو حمل الشيء على غيره لملازمة بينهما، من باب ربط أمر بآخر يعد من مقتضياته التي لا ينفك عنها، لفهم مضمون الخطاب على الوجه الصحيح وقاية للمخاطبين بما ورد في الآية، من أمر، أو نهي، كقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۗ﴾ .

٣- أسلوب الاعتبار والتدبر، وملاحظة الحوادث، والحذر من الوقوع فيما وقع فيه الآخرون، ممن استحق العذاب، والعقاب، والجزاء، وقاية للمخاطبين، قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَنقُورِ لَقَدْ أَبْلَغْتُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُمْ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ ۗ﴾ .

الخبر العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

٤- أسلوب التهويل، وهو التفرغ والتعظيم، ويأتي من باب المبالغة في التخويف والترهيب، بقصد التحرز من الوقوع في الخطأ والمعصية، كقوله تعالى في سورة القارعة

: ﴿ الْقَارِعَةُ ١ مَا الْقَارِعَةُ ٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣ ﴾ .

٥- أسلوب التعجيب، وهو استغراب حال الجهل بالشيء، ويأتي عادة من باب استشارة المخاطب، بالإنكار عليه ليتنبه ويصحو من غفلته، كقوله تعالى في سورة

البقرة : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ٢٤٣ ﴾ .

٦- أسلوب التهيج والإلهاب، وهو فعل ما لا يتصور تركه؛ أو ترك ما لا يتصور فعله، ويكون عادة بإيعاز النفس، وبث الحماسة فيها، والتحفيز الحثيث لما يراد فعله، أو تركه، بحسب مدلول الخطاب، كقوله تعالى في سورة النور : ﴿ وَتُوبُوا ٢٤٣ ﴾

: ﴿ إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٢٤٣ ﴾ .

٧- أسلوب التشبيه، ويكون عادة بذكر شخصين، أو موقفين، أو حالين، جمعت بينهما علة واحدة، فيذكر القرآن الكريم شخصاً، أو يسوق قصة، أو موقفاً من مضي، أشبه بموقف المخاطبين وحالهم، ينبه خلاله ويحذر وينذر من الوقوع في مثل ذلك العمل، الذي يقتضي ذات المصير والمآل، كقوله تعالى في سورة الصافات :

: ﴿ وَإِذَا نُتِلَّى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ قِرَاطٌ ٧ ﴾ .

الخير العميم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

٨- أسلوب الاحتباك، وهو حذف النظير من المقابل لدلالته عليه، ويكون بذكر شيئين في الآية كل منهما يقتضي الآخر، ويدل على حيثية متحققة فيه، والقرآن الكريم بسياقه الدقيق، يدل على ما حذف من كل واحد، بدلالة مفاد ما ذكر في الآخر، كقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ اتَّيْتَا فِئَةٌ تَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَى الْعَيْنِ ۗ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ .

٩- أسلوب التمثيل، والتصوير، وبأتيان من باب استحضار الحدث في مخيلة العقل، وذهن السامع، لما يراد الحديث عنه، لكونه أبلغ من الخطاب المعتاد، من حيث وقع الدلالة وفهم المضمون، كقوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ .

١٠- أسلوب الحكاية على لسان الغير، وهو أسلوب قرآني يأتي ببيان حقيقة للمخاطب، يستفيد من ذكرها، حال الخطاب، ويضعها نصب عينيه، فلا يغفل عنها وقاية له، كقوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّن

^١ فتقدير هذه الآية بعد فك الاحتباك يكون على النحو التالي: (فئة [مؤمنة] تقاتل في سبيل الله، وأخرى كافرة [تقاتل في سبيل الشيطان]). . فدل في المقطع الأول؛ على أنها مؤمنة دلالة كلمة [كافرة] في المقطع الثاني . ودل في المقطع الثاني؛ على أنها تقاتل في سبيل الشيطان دلالة كلمة [تقاتل في سبيل الله] في المقطع الأول) .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

سُلْطَنٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تُلْمُونِي وَلَوْ مَوَّأَ أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيكَ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ .

١١- أسلوب التنزل والمجازاة، وهو مساقرة المخاطب بالقول، والتساهل معه، والتغاضي عن مراده، بقصد قطع حجته، وإلزامه بضعدها، حال عجزه، كقوله تعالى

في سورة سبأ: ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ﴿٢٤﴾ .

١٢- أسلوب التعليل، وهو بيان السبب من حصول الشيء، بقصد بيان الحقيقة لدفع اللبس، وإزالة الشبهة ومنع التساؤل، وقاية للمخاطبين، بما ورد في الآية من مفاد، كقول ربنا جل في علاه في سورة الأنفال: ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ

لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ﴿٦٨﴾ .

١٣- أسلوب مخاطبة الجمادات خطاب من يعقل، بقصد تنبيه السامع والدعوة للتشبه بالمثل، والحدو حدوه من باب الأولى، وقاية المخاطبين بمفاد الخطاب قال

تعالى في سورة فصلت: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا

طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ ﴿١١﴾ .

١٤- أسلوب الحديث بصيغة المستقبل، والتعبير عنه بصيغة الماضي، من باب التوقّي لشيء لم يحصل بعد؛ مع تحقق وقوعه، ويراد به غاية التخويف، لما يستوجب العذاب المترتب على المخالفة، فيما لو حصلت، كقوله تعالى في سورة

الكهف: ﴿ وَعَرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ

زَعَمْتُمْ أَنَّ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴾ ﴿٤٨﴾ . وذلك لم يحصل بعد .

الخير العميم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

وغيرها من أساليب لغوية كثيرة . وبهذا اتضح أن القرآن الكريم قد استعمل في خطابه أساليب بيانية، بلاغية، متنوعة، ومتعددة، لتحقيق مقاصده، ومراداته، وأهدافه، المتضمنة المنهج الوقائي .

وإجمالاً تبين أن القرآن الكريم قد استعمل كل أسلوب مباشر صريح، وغير مباشر ولا صريح لإرساء مفهوم الوقاية فيه؛ من كل وجه وبكل دقة .

أما الأساليب الصريحة فقد وجه فيها الخطاب، بصفة لا تحتمل إلا شيئاً واحداً، وهو تحقيق المنهج الوقائي بكل معاني الكلمة .

وأما الأساليب غير الصريحة فقد تنوع فيها القرآن الكريم، ليوافق كل حالات النفس فيستميلها، وكل أحوال تقلب القلب فيرققه، وكل لحظات خواطر العقل وسوانحه فيقنعه .

بالإضافة لما في ذلك من إقامة الحججة، من خلال الأمر بتحقيق الوقاية بكل وجه، ليتحقق للخلق نفعهم، ويدراً عنهم ما يضرهم، ويفسد حياتهم .

الخير العظيم لمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المبحث الثاني : الأساليب الوعظية :

- المطلب الأول : أسلوب القصص القرآني .
- المطلب الثاني : أسلوب ضرب المثل .
- المطلب الثالث : أسلوب الاعتبار بالسنن الكونية .
- المطلب الرابع : أسلوب ذكر الضد (صفات المؤمنين وما يقابلها من صفات الكافرين) .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المبحث الثاني : الأساليب الوعظية :

وهي أساليب فصيحة بليغة، استعملها القرآن الكريم في عرضه، البليغ، الرائع، الشائق، المعجز، من خلال قوالب وعظية، وظف خلالها كثيراً من أغراضه، وأهدافه، ومقاصده، ومراداته، التي جاء بها، جمعت بين كونها لغوية بلاغية، وبين كونها صور وعظية، تحرك المشاعر، وتلفت الأنظار، وتشد الانتباه، وتثير الاهتمام، قوالب تصويرية تستحث العقل لإعمال الفكر، ولاستحضار الصورة فيه . غير بها أسلوب الخطاب المعتاد .

وهذه المميزات المتغايرة بالجملة، استعملها القرآن الكريم ليوافق كل مرادات النفس، ولفترات العقل، ويستميل كل خواطر القلب، فأنى اتجهت النفس، أو التفت العقل، أو جال القلب بخواطره، وجد في حديث القرآن الكريم أسلوباً مقنعاً، دالاً على مراداته، ومقاصده، بما لا مرية فيه؛ وذلك لأنه إعجاز منهج حق، وكتاب هداية للناس . وتتبع هدايات القرآن الكريم لا تنتهي بزمان ولا بمكان، وهذا يعني أنه لا جمود في عطاءات القرآن الكريم أبداً .

هذه الأساليب القرآنية استوعبت كل أساليب الإعراض والاعتراض، التي قد تنشأ في النفس البشرية أو العقلية الإنسانية، بالحجة، والدليل، والبرهان، والإقناع، ليحقق الحق ويبطل الباطل .

واستخدام القرآن الكريم أسلوب عرض الأحداث ولفت الأنظار، فيه تعميق لمعنى الوقاية، وبيان لمفهومها ومقاصدها وأهدافها، في محاولة التأثير المباشر على الإنسان، بما يرى ويسمع . أهم تلك الأساليب التي استعملها القرآن الكريم لإرساء مراداته، وبيان مقاصده، وإظهار أهدافه، من غير أسلوب الخطاب المعتاد، أربعة أساليب وعظية . سأعرض كل أسلوب منها في مطلب :

الخير العميم لمنهج الوقائي في القرآن الكريم

- المطلب الأول : أسلوب القصص القرآني .
- المطلب الثاني : أسلوب ضرب المثل .
- المطلب الثالث : أسلوب الاعتبار بالسنن الكونية .
- المطلب الرابع : أسلوب ذكر الضد (صفات المؤمنين وما يقابلها من صفات الكافرين) .

الخير العظيم لمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المطلب الأول : القصص القرآني :

القصة القرآنية هي : أخبار الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة، التي ذكرت في القرآن الكريم، وساقها لأغراضه ومقاصده .

وقد تبوأ القصص القرآني جزءاً ليس باليسير منه، تضمن عرض كثير من الأحداث، والأقوال، والمحاورات، ومن ثم وجه لفهم مقاصده، وتلقي مراداته، وبلوغ أهدافه، وأغراضه، التي بكل حال لا تخلو من الإعجاز، بكافة مجالاته وصوره .

أرسى القرآن الكريم خلال ذلك، كثيراً من الفوائد، والمفاهيم، والوقائيات، قال سبحانه في سورة يوسف: ﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

ومنهج القرآن الكريم في ذكر القصص ليس هدفه والقصد منه إيراد تأريخ كامل، لأحداث تامة، أو سيرة وافية لأشخاص، وإنما القصد منه إيراد أمثلة يحتذى بها، ونماذج وأحداث يستفاد من ذكرها . ولذلك كان للقصص القرآني كثيرٌ من الفوائد :

١- الإخبار عن تواريخ بعض الأمم الماضية، وعن جهود الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، في سبيل نشر دعوتهم، وصراعهم مع أقوامهم، ومجادلاتهم ومناقشاتهم السديدة المتنوعة، لإظهار الحق وإبطال الباطل .

٢- بيان أن دعوة الأنبياء عليهم السلام واحدة، هي الدعوة إلى توحيد الله تعالى، وإنذار الناس .

٣- القصة عنصر مشوق، جذاب محبب، مرغوب فيه في التربية والتعليم، وإثبات البراهين العقلية بالوقائع الحسية؛ وذلك يؤدي إلى غرس بذور الإيمان، والترغيب في

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

الطاعة، والترهيب من المعصية، الأمر الذي يجعل القصة مدرسة إلهية للمؤمنين، أساتذتها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

٤- إثبات توحيد الله سبحانه وتعالى وتقرير وجوده، وإثبات النبوت، ومسألة البعث والجزاء .

٥- التأييد الإلهي للرسول عليهم الصلاة والسلام، بما في كل قصة من مواعظ وعبر ودروس .

٦- إثبات نبوة محمد ﷺ .

٧- تكرار القصة الواحدة في سور القرآن الكريم أكثر من مرة، إنما هو لتحقيق مقاصد وأهداف ومعان كثيرة، لتكون ماثلة أمام الأعين في كل جيل .

وقد تكرر ذكر بعض القصص في القرآن الكريم، فجاء بأهداف كثيرة من خلالها أرسى مفهوم المنهج الوقائي فيه :

أ- كإيضاح أسس الدعوة إلى الله تعالى .

ب- تثبيت قلب النبي ﷺ وتصديق الأنبياء عليهم السلام .

ج- إظهار الحجة، بعرض تاريخ أقوام وبعض أحوالهم .

والقالب القصصي في القرآن الكريم جاء بأساليب وعظية عديدة، وطرق

متعددة متنوعة، ليرسي مفهوم المنهج الوقائي؛ من خلال عرض الخطابات الموجهة

للأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم، ومن خلال عرض بعض

أحوال وأقوال لأقوام آخرين، ومن خلال ذكر بعض التفصيليات لحياة كل قوم، يبي

القرآن الكريم عليها منهجه التوجيهي الإرشادي المناسب لهم، ومن خلال الحديث

عن داءات الأمم ومعضلاتها، وسيء أخلاقهم، التي كانت سبب هلاكهم ودمارهم

. ومن ثم التوجيه والإرشاد والتنبيه والتحذير منها، تجلى ذلك حين :

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

١- أمر القرآن الكريم بوجوب تحقيق العبودية لله تعالى، وحذر من عاقبة الكفر بربوبيته، أو الشرك في ألوهيته جلت عظمتها، في عموم قصصه، كقوله سبحانه في سورة الأنبياء: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (٢٥)

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (٢٥)

٢- بين دور الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، في إقامة المنهج الرباني الحق، وأنهم رسل الله تعالى حقاً، الذين جاؤوا بشرعه المطهر، وتعاليم دينه القيم، كقوله تعالى في قصة نوح عليه السلام في سورة الأعراف: ﴿ قَالَ يَنْقُومُ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٦٧)

﴿ قَالَ يَنْقُومُ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٦٧)

٣- قرر وجوب طاعة الله سبحانه وتعالى، من خلال ما جاء على لسان الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، فهم الواسطة بين الخلق والخالق سبحانه، والمبلغون شرعه القويم، وتعاليم دينه الخفيف، ولا واسطة غيرهم، ولا سبيل إلى معرفة دينه

تعالى إلا من خلالهم، كقوله تعالى في آل عمران: ﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَا أُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴾ (٥٠)

﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَا أُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴾ (٥٠)

٤- أظهر بعض معجزات الرسل عليهم الصلاة والسلام، تأييداً لما جاؤوا به وتصديقاً له، وبرهان قاطع على أنه من عند الله سبحانه، كقوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسَوْءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴾ (٧٣)

﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسَوْءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴾ (٧٣)

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

٥- وضح أن دين الله تعالى واحد، وإن تعددت الرسالات السماوية، والشرائع

الريانية، كل قوم بما يناسب حالهم، زماناً، ومكاناً، قال تعالى في سورة ص: ﴿إِنَّ

كُلَّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ۖ﴾ (١٤) . فتكذيب رسول واحد يقتضي

تكذيب كل الرسل عليهم الصلاة والسلام .

٦- حث على التأسى بعموم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، فهم معشر

الهدى، وأئمة التقى، وخير من قام بشرع الله تعالى، كما أمر سبحانه؛ لأنهم أعلم

الناس به وبمنهجه، قال عز وجل في سورة النحل: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا

لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۖ﴾ (١٢٠) .

٧- اهتم بمسألة الرد على المخالفين، وإفحام الخصوم، بإقامة الحجة عليهم،

واضحة جلية لا تشوبها أدنى شائبة، وقاية من الوقوع في مثل تلك الشبه والأباطيل،

قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿ثُمَّ نَكْسُوْا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ

يَنْطِقُونَ﴾ (٦٥) .

٨- أورد الداءات التي انتشرت في كل قوم، وكانت سبباً في هلاكهم، ليحتملها كل

من جاء من بعدهم، ويحذر من الوقوع فيها، وقاية للمجتمعات، كقوله تعالى في

سورة الأعراف: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ

اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ ۖ وَتَجْعَلُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا

فَكَثَرْتُمْ ۗ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ۖ﴾ (٨٦) .

٩- أظهر غاية القدرة الإلهية، الدالة على وحدانيته عز وجل، ومطلق قدرته

سبحانه، وتفرد مشيئته جل في علاه، بما لا يدع مجالاً للشك، قال جلت قدرته في

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

سورة البقرة : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ .

١٠- عرض بعض أقوال الأنبياء عليهم السلام لأقوامهم، في معرض البشارة والندارة، والترغيب والترهيب، ليعينوا منهج الله تعالى في الأرض وقيموا شرعه، وقاية لأهلها مما قد يعصف بهم من شبهات وشهوات، قال تعالى في سورة النمل :

﴿ وَطَوَّأُ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَلْحِشَةَ وَأَنْتُمْ بُصُرُونَ ﴿٥٤﴾ .

١١- اهتم بيان مسألة اختلاف الشرائع الربانية، كل قوم بحسب مقتضيات زمانهم، وما يحقق المصلحة الزمانية، والمكانية لهم، وفي ذلك دليل على مدى نفعية هذا الدين في حياة البشر، وهو أمر لا يمكن الاستغناء عنه، وقاية لهم من أن يحكم بعضهم بعضاً، بقوانين بشرية تحقق النفع لذويها دون غيرهم، من باب مصلحة قوم

على حساب آخرين، قال تعالى في سورة المائدة : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴿٤٨﴾ .

الخبر العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

١٢- جلّى لنا جانب بالغ العناية الربانية، بالمؤمنين الصادقين، والأولياء الصالحين، مؤيداً لهم على أعدائهم وأعدائهم، وفي ذلك دليل على صدق هذا الدين الحق قال تعالى في سورة يونس: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا

نُجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ .

١٣- أورد بعض المحاورات بين الرسل عليهم الصلاة والسلام، مع أقوامهم حال دعوتهم إلى الله جل جلاله، في معرض التوجيه والتعليم والإرشاد، لما في تلك المقاولات من تربية وتعليم وبيان كبير لكافة البشر، كقوله تعالى في سورة طه:

﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ

﴿٥٠﴾ .

١٤- لفت الأنظار حين ذكر حقائق متعددة عن تأريخ الأمم السابقة، التي لم تذكر في كتب التأريخ، من خلال تكرار القصة، بأساليب متعددة، ومتنوعة، ومبثوثة فيه، كقصة موسى عليه السلام مع فرعون، والتي وردت في مواطن كثيرة من القرآن الكريم، كل جزء منها أعطى حيثية زائدة، ومعلومة جديدة عما سواه، وبمجموع اللقطات تكمل القصة بصورتها الكاملة . وكل ذلك ليوقف على حقائق تأريخية، تؤيد جانب الإعجاز فيه، وتبين جانب الوقاية منه .

وبهذا يتضح أن القصة في القرآن الكريم جاءت لهدف تبيينه، ولقصد ترسيه، ولوظيفة تحقيقها، ولغاية تبلغها، فكانت بذلك لقطات شتى من قصص سيقمت بسياقات بليغة، وأساليب دقيقة . كل كلمة ولفظة فيها تعطي معنى بذاته، وقيمة تأريخية، أو أخلاقية، أو علمية، وما إلى ذلك .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

وقد تنوع القصص القرآني بحسب الهدف من سوقه، وبحسب الغايات التي جاء بها ولها، فكان منه :

- ١- قصص الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام .
 - ٢- قصص الأمم السابقة كقصة أصحاب الكهف، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل .
 - ٣- القصص النبوي المعروف بالسيرة النبوية الشريفة العطرة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم .
 - ٤- قصص لبعض أشخاص غير أنبياء، سواء من أهل الكفر كالنمرود وقارون، أم من أهل الإيمان كناصر قوم فرعون .
- وعموم ذلك القصص أتمسم بسمات، وتميز بميزات فريدة دقيقة، حفظت له وقعه، وبصمته، ولحجه، وإشاراته .

وقد دل على بعض تلك الخصائص الفريدة القرآن الكريم نفسه، ولا أدل على الشيء، من دلالته على نفسه بنفسه، فهو :

- ١- قصص حق، جاء لإرساء أغراض إلهية، وشرائع ربانية، قال تعالى في سورة آل عمران : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٦٢) .

- ٢- أحسن القصص؛ لأنه من عند الله تعالى لا تكلف فيه ولا مبالغات، قال سبحانه في سورة يوسف : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (٣) .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

٣- أن الرسول الأكرم ﷺ مأمور بتبليغه للناس، لتحقيق به العبرة والموعظة لهم، قال جل في علاه في سورة الأعراف : ﴿ فَأَقْصِصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ



وهكذا استعمل القرآن الكريم قالب القصصي لتوظيف مراداته، وإرساء مقاصده، وتأسيس وقائياته، في عرض أحداث، أظهرت غاية الفساد، جزاء مخالفة المنهج الحق، والبعد عن الشرع الصدق، والتعامي عنه، والتمادي في الباطل، والسير على طرق الغي والغواية، واتباع سبل الضلال والردى .

استعمل القرآن الكريم القصة فيه؛ لتصوير أحداث، نقل الخطاب خلالها إلى صورة مشاهدة واقعية محاكية، بها ومن خلالها حذر، ونبه، ورغب، ورهب، وأبرز الفرق بين طريقتين متضادين لا يمكن أن يتقابلا، أو يتلاقيا بحال، فجعل منها أسلوباً وقائياً، ملموساً، محسوساً، أظهر خلاله داءات المجتمعات، في زمان، ومكان معينين؛ فنقل بذلك التصوير الواقعي الحق، إلى توجيه عام لكل الزمان، وكل المكان، لتبقى الصورة عالقة في الأذهان، مستحضرة في العقول، بالغة الأثر في النفوس .

تلك هي القصة في القرآن الكريم، والغرض الرئيس، والهدف المنشود من سوقها فيه، عبر كبرى ودروس وفرا .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المطلب الثاني : ضرب المثل^١ :

المثل؛ هو إلقاء الشبه بين حال المخاطبين وحال أقوام سابقين لهم، جمعهم الموقف الواحد، أو القول الواحد، أو الفعل الواحد، فجيء به للتنبيه والتحذير، من مشابهة الفعل، تجنباً لملاقاة ذات العاقبة والمصير .

وقد استعمله القرآن الكريم لإرساء المنهج الوقائي، من خلال تصويره لأحداث كثيرة ماضية، أو لعرض مجريات مواقف مشابهة، يسوقها لوحدة الغاية والعللة، ومن خلال ذلك يوجه رسائل وقائية تحذيرية واضحة المعنى والمضمون .

وقد تنوعت أساليب ضرب المثل في القرآن الكريم، فتارة يذكر لفظ ضرب المثل في الآية، وتارة يستعيز عنه بجملة (ألم تر) أو قد يأتي بهما سواء، ورابعة قد يأتي بسياقات تدل على ذلك، بحسب نوع المثل المضروب، والغرض من سوقه .

وصدق سبحانه القائل في سورة الروم : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ

مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ۝٥٨﴾ . والأمثال في القرآن الكريم جاءت على ثلاثة أقسام :

١- الأمثال الصريحة، التي صرح بضرب المثل فيها . وهي عامة آيات ضرب المثل في القرآن الكريم، وآيات التشبيه فيه .

٢- الأمثال الكامنة، التي لم يصرح فيه التمثيل، لكنها تدل على معنى المثل؛ من

كلام موجز . كقوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ لَا فَاْرِضٌ وَلَا يَكْرُؤُا بَيْنَكَ ذَلِكَ

٦٨﴾ . وقوله سبحانه في سورة الفرقان : ﴿ لَمْ يَسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَكَ

ذَلِكَ قَوَامًا ٦٧﴾ . يلاحظ فيهما معنى المثل القائل : (خير الأمور أوسطها) .

^١ يراد بالمثل الشبيه والنظير، ويعرف بأنه : جملة من القول تنقل ممن وردت فيه إلى مشابهة بدون تغير . وقد يستعار ضربه للحال، أو للوصف، أو للقصة .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

٣- الأمثال المرسله، وهي جمل أرسلت؛ فجرت مجرى المثل، كقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٦٧). وقوله سبحانه في سورة يوسف: ﴿أَكْثَرَ حَصَصَ الْحَقُّ﴾ (٥١). وقوله عز وجل في سورة فاطر: ﴿وَلَا يَنْبُتُ مِثْلُ خَيْرٍ﴾ (١٤). يلاحظ في هذه الآيات أن التعبير القرآني، لم يذكرها على أنها أمثال، ولكن الناس سيرتها أمثال.

وبالتالي كان ضرب المثل في القرآن الكريم له أغراض عدة، وظفها القرآن الكريم لإرساء مراداته وتأصيل مقاصده في:

١- بيان وجوب تصديق الرسل عليهم الصلاة والسلام، والتحذير من تكذيبهم برد الحق الذي أرسلوا به، والتعامي والتغافل عنه، كقوله تعالى في سورة يس:

﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ (١٣).

٢- أظهار القدرة الإلهية على الخلق، ليستحث عقل المخاطب، ليعمل فكره، فيعي الهدى من الضلال، وقاية له من التخبط والتوهان، وعصمة من طرق الشيطان، قال سبحانه في سورة البقرة: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٥٩).

الخبر العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

٣- إظهار الفرق بين الحق والباطل، والمؤمن والكافر، ليتبين للمخاطب غاية الفرق بين المتناقضات، بإظهار شكر النعم من كفرانها، وبيان موقف الشاكر لنعمه جل في علاه، من الجاحد الكافر المكذب بها، من خلال أسلوب المحاورة، ومن ثم التوجيه المناسب بما تضمنه، وقاية له من الضلال، كقوله تعالى في سورة النحل:

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ .

٤- بيان عاقبة الكفر بنعم الله تعالى، والإعراض عن دينه؛ لأن ذلك يورث سخط الله عز وجل، وحلول نعمته، وزوال نعمته، كقوله سبحانه في سورة النحل:

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ .

٥- بيان مدى قدرة الله تعالى المطلقة، في تصريف الكون، وتدييره، وعجز من سواه أبداً، عن أدنى تصرف، أو فعل، أو تأثير فيه، بقوله سبحانه في سورة الحج:

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ ۗ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ۗ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٣﴾ .

٦- تجلية جوانب العظمة الإلهية، بتقريب صورة ماثلة للعقل، عن بعض حقائق صفات الله تعالى، للوقوف على مراده جل شاناه، ووقاية للعقل من شطح الخيال،

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

قال عز وجل في سورة النور : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ .

٧- التنفير وتقييح الصورة القائمة في المثل المضروب، والأمر بالبعد عن التشبه بها، تبشيعاً لها، لتكون أوقع في النفوس، وأرسخ في العقول، ترهيباً لترك الفعل المنبوذ، كقوله تعالى في سورة الحجرات : ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴿١٣﴾﴾ .

٨- إبراز المعنى المراد؛ في صورة حية ملموسة، تكون أكثر حضوراً، في مخيلة العقل، وأجلى في التصور الذهني لها، لكشف حقائق كائنة، أو تصوير لغائب في قالب الحاضر، فتتضح الصورة بذلك، ويترسخ المعنى في الأذهان، بتأثير قوي، على الوجه المطلوب، كقوله تعالى في سورة البقرة : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُبْطَلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْأَخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٦﴾﴾ .

٩- الترغيب في فعل الشيء المحبوب، كقوله تعالى في سورة البقرة : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

١٠- مدح ما يراد الحث عليه، والتحبيب فيه، تحفيزاً وحثاً، كقوله تعالى في سورة الفتح : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا . ﴿ ٢٩ ﴾

١١- الإقناع وإقامة الحججة به، ومن خلاله، بأسلوب أبلغ، وأثر أوقع، في قرارة النفوس، وباطن العقل، وقاية للعقول من الضلال والضياع، كقوله تعالى في سورة العنكبوت : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿ ٤١ ﴾

١٢- أحياناً كان يستعمل جملة (ألم تر) للتعجب في ضرب المثل، ليستحث العقل، ويلفت النظر، للتأمل، والقياس بين المتناقضات، والمتباينات، وقاية للفكر من شطح الخيال، قال تعالى في سورة إبراهيم : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿ ٢٤ ﴾

وبهذا اتضح أن القرآن الكريم خاطب الناس بما يعرفون، من وقائع وحوادث مشابهة حصلت قديماً، تذكيراً ووعظاً، ليرسي مفاهيم وقائية جديدة، ترسخ في العقول، وتعطي فوائد مستقاة من الماضي، تشري الحاضر والمستقبل . ذلك هو القرآن الكريم، وذاك هو هدفه من سوق المثل فيه .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المطلب الثالث : الاعتبار بالسنن الكونية :

في القرآن الكريم كثير من الآيات التي تحدثت عن الكون، وعن خلق السموات والأرض، وعن قدرة الله تعالى العظيمة في كل جنات الحياة، وعن علوم أخرى كثيرة .

سنن كونية خلقها الله تعالى لتسير في مجالاتها، التي حددها الله تعالى لها، وفق نظام رباني كوني محكم .

والآيات التي تكلمت عن هذه السنن الكونية، متضمنة الإعجاز بشتى أنواعه، وغيبات، وخوارق عادات، وآيات باهرات، يحار أمامها العقل، تجعل الإنسان متى وقف على شيء منها، وقف مشدوهاً، متعجباً، مسبحاً بحمد ربه سبحانه .

وصدق جل في علاه القائل في سورة يس : ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ

نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ .

والإنسان المخلوق الضعيف، كلما تقدم به العلم، تكشف له، وتبدت أمام عينيه حقائق علمية، عن كثير من النظريات، والقوانين، الكونية، الماثورة في هذا الكون الفسيح . وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تكلمت عن الإعجاز العلمي . هذا فضلاً عن الإعجاز اللغوي، واللفظي، والبياني، والغبي، والتشريعي، والعددي فيه .

كما تحدثت تلك الآيات عن كثير من الأمور، التي ستقع في قابل الأيام، وعن المكتشفات التي ستحصل في مستقبل البشرية . كنهاية الكون، ومصير الأرض وما إلى ذلك، حتى أن سدس آيات المصحف الشريف تحدثت عن الكون، وعن تلك العلوم الحديثة والمكتشفات العلمية .

خلال تلك الآيات أعطى القرآن الكريم جملة من الحقائق العلمية، مع مرور الزمن تبدى للخلق، وتظهر حقائقها، وتثبت أن هذا القرآن الكريم من لدن حكيم

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

خير، تحقيقاً لقوله سبحانه من سورة فصلت : ﴿ سَأُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ
وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ
﴿ ٥٣ ﴾ .

وقد استعمل القرآن الكريم خلال تلك الآيات التي تكلمت عن السنن
الكونية، أساليب وقائية عديدة، لتأصيل مراداته، وإقناع الإنسان بمقاصده :

١- أظهر غاية التدبير الرباني، المتحقق في القدرة الكاملة، والمشية المطلقة، والعناية
الفائقة، المحيطة بكل المخلوقات، المبتوثة في الكون من الذرة إلى المجرة، لإقامة
الحجج على المعارضين، ببيان معالم تلك القدرة الربانية، بما لا قادر عليه إلا الله
سبحانه، تصريفاً، وتدبيراً، وتقديراً، جل رنا في علاه، ليقى بذلك، قال تعالى في
سورة البقرة : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ
الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ
بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿ ١٦٤ ﴾ .

٢- نبه من الغفلة الصارفة عن إدراك حقائق الكون، ولفت الأنظار للوقوف على
عجائبه التي فيه، وإدراك عظمة مكوّنه، وخالقه العظيم، والوقوف على كمال
قدرته، ونفوذ مشيئته، وإحاطة عنايته بعموم الخلق، بذكر بعض مشاهد قدرة الخالق
العظيم، وبديع صنعة المصور البارئ الحكيم، قال تعالى في سورة الروم : ﴿ أَوَلَمْ
يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ ۗ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ
وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكٰفِرُونَ ﴿ ٨ ﴾ .

الخبر العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

٣- تحدى المخاطبين، وبين عجز كل الآلهة من دون الله تعالى، عن تحقيق الهداية لعبادها، أو أدنى نفع، أو قوة، أو تأثير، وقاية للخلق من التخبط في مسالك الظلمات قال تعالى في سورة يونس : ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَأَلَكُمُ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ .

٤- أظهر كمال القدرة المطلقة، ببيان تنوع الخلق، كل بما يناسب وظيفته في الدنيا، وفي ذلك دليل على عظمة الخلاق العظيم، الذي خلق فسوى وقدر فهدى قال تعالى في سورة النور : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ .

٥- دعا للتأمل، والتبصر، والنظر، والتدبر، في حقائق هذا الكون، وتصرف الآيات، وتقلب الأحوال، للدلالة على الخالق العظيم، وإثبات وحدانيته، وربوبيته، وألوهيته جلت عظمتها، في هذا الكون الفسيح، حين خاطب الضمير ليقظه من غفلته، وليربطه بحقائق علمية دقيقة، أثبت العلم الحديث صحتها، ووافق جانب الإعجاز القرآني فيها قال تعالى في سورة الأنعام : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٦٥﴾ .

٧- عدّد النعم، وتحدث عن تواليها على العبد من غير استحقاق، وإنما تفضلاً منه سبحانه؛ ليتفكر الإنسان في حقيقة نفسه، وكيفية تكوينه، فيقف على الحقائق مجردة أمام عينيه، ليرى حينها المستحق الأوحى للعبادة والطاعة، قال تعالى في سورة

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

النحل : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ .

٨- أظهر الإعجاز العلمي المطلق، الدال على صدق هذا الدين الحق، وما جاء به، بما في القرآن الكريم من إعجاز وافق حقائق الكون، وطابق دقائق العلم، وصادف بصائر العقل، وقاية له وحماية لطاقاته من الشرود والشطح، قال تعالى في

سورة فصلت : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ .

٩- وبخ كل من فقد نباهته، وغطى عينيه عن رؤية الحق، ومعالم القدرة مما يسمع ويرى، فلم يلحظ عجائب الكون، ولم يفهم مقاصد الوجود، ولم يدرك أغراض

الدين الحق، قال تعالى في سورة العاشية : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ

خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى

الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ .

وبهذا كان أسلوب الاعتبار بالسنن الكونية، والحقائق العلمية، والإعجاز في القرآن الكريم، وسيلة للإقناع، وإقامة الحجة، بما ظهر للناس من بديع صنع الله تعالى ومطلق قدرته، بطريقة تجعلهم يتفكرون في عظم هذا الكون؛ وأن خالقه ولا ريب أعظم منه .

أسلوب وقائي محسوس، مشاهد ملموس، يزرع في النفوس غاية تسامي هذا المنهج الحق، ومدى نفعيته في حياة البشر، جاء به لينفض عن العقول غبار تراكم الضلالات، ويزيل عن العيون غشاوة الشبهات، ويبرز صدق ما جاء به من أخبار وغيبيات، ويبرهن على مدى نفع المنهج الذي حواه، والشرع الذي تضمنه .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

وبالتالي معرفة أن من وضع كل ذلك بحكمة، وتديير، وعلم، وإبداع، وقدرة، وهو به خبير، هو ولا ريب خالق عظيم حق مبین، يستحق أن يعبد لا سواه سبحانه .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المطلب الرابع : الذكر بالضد (صفات المؤمنين، وما يقابلها من صفات الكافرين) :
 عموم آيات القرآن الكريم جاءت بالبشارة للمؤمنين، وبالندارة للكافرين؛ لأنه كتاب هداية عام، ومنهج متكامل، أرشد للحق، والخير، والبر، والهدى، والنور، وفي الوقت نفسه حذر من الباطل، والشر، والإثم، والضلال، والظلام .
 وأسلوب الذكر بالضد، أو أسلوب المقابلة بين الفريقين، هو أسلوب قرآني أصيل، اعتمد عليه القرآن الكريم كثيراً حين يذكر الأضداد، والمتناقضات، في سياق الاستفهام، والتساؤل، للترجيح بينها تسهيلاً للمخاطب، ليقف على الفرق بكل سهولة ووضوح، حين يورد آية، ويذكر فيها فريقين اثنين، يسوق لكل فريق ما يناسبه، وما يوافق مقتضى عمله، باعتبارها نتيجة حتمية يستحقها، ومن ثم يترك له حرية الاختيار لما ترجح عنده، من غير عناء، ولا لبس، ولا تردد، ولا حيرة، ولا أية شبهات .

والقرآن الكريم حين يذكر المتقابلات يريد أن يسهل على العقل اختيار بين ما هو حق، وما هو باطل، كقوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ لَهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ .

وقد ركز القرآن الكريم كثيراً على مسألة إجراء المقارنات، وذكر النظائر، لإيضاح الفروق، والوقوف على التفاوت الكبير، والبون الواسع بين كلا الفريقين؛ تأييداً للحق وأهله، وتعريهً للباطل وأصحابه، فقد استعمل تلك المقارنات :

١- لبيان العاقبة، وإيضاح الفرق الكبير بين العواقب الحسنة والسيئة، إذ لكل عاقبة؛ عمل مسبق استحق عليه ما لقيه من مصير، كقوله جلّت قدرته في سورة الحشر : ﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

﴿ ٢٠ ﴾ . وقوله تعالى في سورة الانفطار : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ .

٢- لإظهار الفرق بين الحق والباطل، محذراً من الاغترار بكثرة الباطل وأصحابه، والقائلين به؛ لأن الحق أحق أن يتبع، وإن كان قليلاً أو حتى واحداً كقوله تعالى في سورة المائدة : ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَكُونِ الْأَلْبَبُ لَكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ .

٣- للمفاضلة في العمل، ليظهر الفرق الكبير بينهما، وفي ذلك دعوة وتحفيز، وحث للمخاطب ليعمل حتى يظفر بالثواب، قال تعالى في سورة النساء : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ .

٤- لبيان حال المخاطب، وموقفه من الأشياء، ومعرفة حقائقها، ليفرق بين الواعي المدرك لها، والغافل والمتغافل عنها كقوله تعالى في سورة الأنعام : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ .

٥- لبيان العمل الصالح من الفاسد، موضحاً الفرق الواضح بينهما، والذي بدوره يقتضي ويستوجب الفرق في الجزاء والمصير، قال تعالى في سورة غافر : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَدَّكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

٦- لإبراز حقائق علمية، تظهر جانب الإعجاز الداعي صراحة للإيمان بالله تعالى،

القادر على الجمع بين الأضداد سبحانه، كقوله عز وجل في سورة فاطر : ﴿ وَمَا

يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴿١٢﴾ .

٧- لإيضاح حقيقة الناس في هذه الدنيا، وتباين مواقفهم من الحق وقبوله، وأن الله

تعالى هو الذي له مطلق القدرة سبحانه، كقوله عز وجل في سورة فاطر : ﴿ وَمَا

يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعُ مَن فِي الْقُبُورِ

﴿٢٢﴾ .

٨- للتأييد الرباني لأوليائه الصالحين، وعباده المؤمنين، ممن آمن به واعتصم بربه

سبحانه، وللدلالة على الخذلان لمن كفر، فتولاه الشيطان وأضله بأنواع الضلالات،

وأدخله في غياهب الظلمات، كقوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ

آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ

يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا

خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ .

٩- لتوبيخ أهل الضلال وتقريعهم؛ لأنهم يجورون في الحكم، ويعدلون عن الحق،

ويريدون مساواته بالباطل في دنياهم، حين يلغون من عقولهم الرجاحة، والبصيرة،

والعقلانية، والوعي، كقوله تعالى شأنه في سورة القلم : ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ

﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ .

١٠- لتبكيك أهل الباطل والكفر، وخزيهم، وفضح كذبهم، يوم تتكشف الحقائق،

وفي ذلك دعوة صريحة لاتقاء ذاك المصير، والحذر من الصيرورة إليه، كقوله تعالى في

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

سورة الأعراف : ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ ۞ .

١١- لإيضاح الفرق بين مصير أهل الحق والباطل، سواء في الدنيا أو في الآخرة، والحكم على نفسه بنفسه، إذ ليس المسيئ في دنياه، كالمحسن فيها ولا رب، في كل شيء أبداً، قال تعالى في سورة الجاثية : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ۞ .

١٢- لترغيب أهل الإيمان والطاعة، وترهيب أهل الكفر والمعصية، كلٌ بما سيؤول إليه أمره في الآخرة، وفي ذلك دعوة صريحة للفوز والفلاح، ولتلافي مثل ذلك المصير الأليم، والتخويف به ومنه، قبل أن يحصل ويكون، قال تعالى في سورة الحاقة : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۖ فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ أَوْلَٰئِي كُنِّيَّةٌ ۖ ۞ . وقال سبحانه :

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ ۖ فَيَقُولُ نِلَّيْنِي لَرَأُوتِ كُنِّيَّةٌ ۖ ۞ .

وبهذا تبين أن القرآن الكريم استعمل أسلوب عرض المتقابلات، والاضداد، والمتباينات، ليتبين للمخاطب الفرق واضحاً جلياً لا مرية فيه، وحينها يحكم الإنسان على نفسه بنفسه، ويختار ما شاء منهما .

وهو أسلوب قرآني بياني بلاغي أصيل، واضح في إجلاء الفروق للعيان، بما لا يدع مجالاً للبس أو الجهل أو الشك والريبة .

والمحصلة هي أن القرآن الكريم قد استعمل أربعة أساليب، مغايرة لأسلوب الخطاب المعتاد، لإرساء مفهوم المنهج الوقائي من خلالها .

الخير العميم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

وهي أساليب تعطي بُعداً تصويرياً تتفاعل معها العقول، والقلوب، والنفوس، لما ترى، وتسمع، وتقارن، بالنظر لوقائع، وأحداث ثابتة، ونتائج متباينة، حاصلة، تستوجب الاستفادة منها، وأخذ العبرة والعظة بها، مما يقتضي ويحتم على المخاطب الظفر بالحسن، والبعد عن السيء .

بخلاف الأسلوب الخطابي المعتاد، الذي قد يتعامل معه كثير من الناس ببلادة وغفلة وقلة وعي، الأمر الذي يجعلهم لا يتأثرون به .

وهذه الأساليب من خلالها وضع القرآن الكريم المنهج الوقائي في قالب جاهز وعرضه للناس، بعرض أحداث، وقص قصص، وضرب أمثال، ولفت نظر لسنن كونية، وإجراء مقارنات بين فريقين متناقضين، كل ذلك ليقف الجميع موقف الناظر المتبصر لتلك النتائج المعروضة أمامه .

هذه الأساليب بها ومن خلالها أرسى القرآن الكريم المنهج الوقائي، بتعميق مفهومها حين استعملها، الاستعمال الصحيح .

الخير العظيم لمنهج الوقائي في القرآن الكريم

الفصل الرابع : فوائد الالتزام بالمنهج الوقائي في القرآن الكريم :

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الفوائد الدنيوية العاجلة . وفيه مطلبان :

المطلب الأول : فوائد إجمالية :

المطلب الثاني : فوائد تفصيلية :

المبحث الثاني : الفوائد الأخروية الآجلة .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المبحث الأول : الفوائد الدنيوية العاجلة :

يتضح من خلال تتبع آيات المنهج الوقائي العام، متعدد الألفاظ، متباين الأساليب، مختلف الصيغ، أن له ثمرات عاجلة، يجنيها المسلم في دنياه . وصدق سبحانه وتعالى القائل في ثلاث آيات من سورة الطلاق :

١- قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۚ ﴾ .

٢- وقوله سبحانه : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۚ ﴾ .

٣- وقوله عز وجل : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ۚ ﴾ .

وكفى بذلك ثمرات دنيوية عاجلة لكل من اتقى الله جل جلاله، وثمرات آجلة . وتلك الثمرات في مجملها حافز، وداع، لمعرفة كيفية إقامة شرع الله تعالى، وكيفية عبادته وطاعته سبحانه، ظهرت لنجني ثمارها وننعم في ظلها .

وهي فوائد وثمرات متحققة لعموم البشر في دنياهم الفانية، جراء تحقيقهم المنهج الوقائي على الوجه الصحيح لا تختص بجانب بعينه .

المنهج الوقائي هو الحل الوحيد، الذي يضمن للبشرية جمعاء التكامل الإنساني، في حياة دنيوية متوازنة، يحقق انسجام الملكات البشرية تماماً، لتوافقه مع النظام الكوني في الحياة الدنيا . حتى غير المسلمين من عموم البشر، وبحسب نظرهم القاصرة، وعلى فرض أنه لا جزء أخروي ينتظر من تبع المنهج الحق؛ فإنه لا راحة لهم من شقاء الدنيا وعنائها، إلا بالسير، والرضا، والقبول، بمنهج حق متوازن، يضمن لهم كل الحقوق الدنيوية، من جلب للمصالح، ودرء للمفاسد، وحماية يوفرها للجميع، وليس لقوم على حساب آخرين أبداً، إذن ما ثم إلا ذلك المنهج الوقائي الإسلامي الحق، بشرعه المطهر الصدق، الذي شرعه ربنا جل في علاه، ووضعه لعموم الخلق وارتضاه لهم، وتكفل بكل خير يعود عليهم . علم ذلك من علم،

الخبر العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

وجعله من جهل . وعموماً فأهم تلك الفوائد والثمرات التي تضمنها هدايات آيات القرآن الكريم :

١- الالتزام بالمنهج القويم يحقق جملة المنافع والمصالح الدنيوية، ويحمي البشر من شرور أنفسهم، وريقيهم من شرور بعضهم بعضاً، ويستجلب رضا الله تعالى، ويعم الجميع بالرزق، والبركة، ويحفظهم سبحانه بمنهجه الحق، قال تعالى في آيات كثيرة منها قوله سبحانه في سورة هود : ﴿ وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْنِعْكُمْ مِّنَّا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ۗ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ .

٢- معرفة مراد الله تعالى من الخلق، في هذه الدنيا، وهي العبادة، والطاعة، وإعمار الأرض بمراده جل في علاه، قال سبحانه في سورة الذريات : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ .

٣- الحماية من الآثار السلبية للمفاسد والمضار، وتوقي خطرهما، وضررها، بالسير على المنهج الحق، إذ لا بد للبشر من منهج حق يحميهم، ويحفظ لهم حياتهم، ويضمن سلامتها، ولا مقارنة بين مناهج البشر المشتتة، الناقصة، ومنهج الله تعالى المتكامل، التام، قال سبحانه في سورة الزمر : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ .

٤- تتحقق كمالات الروح والجسد، من راحة القلب، وإطمئنان النفس وإنسجام ملكاتها، واستقامة الجوارح، لأنه جاء من عند الله تعالى فهو منبع الفوائد الدنيوية، ومخالفته أساس كل فساد في الأرض؛ بخلاف مناهج البشر القاصرة، التي وضعت

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

لتعالج جزئيات الحياة، لكنها تغفل عن جزئيات، وقضايا أخرى كثيرة، لا متناهية، قال تعالى في سورة الروم : ﴿ فَأَقَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لِيْلَخْلُقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ .

٥- تكوين العلاقات المثمرة بين عموم الخلق، وتحقيق المحبة فيما بينهم، بما لا مضارة فيه ولا فساد، والناس كلهم سواء يحتاجون لمن يضع لهم الدين الحق، والشرع الصدق، ولا قدرة لأحد منهم على وضع منهج متكامل، يشمل الجميع، لتباين عقولهم، فكان ولا بد أن يوضع الدين للبشر من قدرة تحيط بهم جميعاً، ولها هدف ومقصد من ذلك، لا أن يضعه أحدهم فيختلفوا فيما بينهم، قال تعالى في سورة الحجرات : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْتَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ .

٦- إقامة الصلاح في الأرض على مراد الله تعالى، والأرض ومن عليها ليست ملكاً لأحد من الخلق، فلا يسع أيهم أن يوجد منهجاً من عنده، يلي الحاجيات بالضبط، لا سبيل لتحقيق ذلك، إلا بمنهج حق، ممن خلق الخلق، وجعل لذلك أهدافاً، ومقاصد عليا، قال سبحانه في سورة الأعراف : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ .

٧- مخالفة المنهج الحق هو الهلاك في الدنيا والآخرة؛ إذ لا إمكانية لنجاة البشر من دار هم فيها لا يعلمون حقيقتها، إلا باتباع من خلق الدارين، وجاء بالمنهج المحقق لعموم البشر، فيحقق لهم النجاة في الأولى؛ بتحقيق مصالحهم ومنافعهم، ودرء المفاسد والمضار عنهم، ويحقق لهم النجاة في الأخرى ببلوغ منازل الرضا في دار

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

السلام، قال تعالى في سورة النساء : ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ،
يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ ١٤ .

وهكذا ساق القرآن الكريم جملة من الآيات؛ بينت المنهج الوقائي وما له من
آثار، وثمرات، وفوائد ملموسة، محسوسة، على أرض الواقع، على مستوى الإنسانية
جمعاء، وليس المسلمين فقط .

والمحصلة هي أن القرآن الكريم بمنهجه الوقائي الحق هو سبيل النجاة، وحبل
الله تعالى، الممدود إلى خلقه في الأرض، فمن تمسك به سعد، وأفلح، ونجا، ومن
تركه خاب، وخسر، وهلك .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المبحث الثاني : الفوائد الأخروية الآجلة :

تكلم القرآن الكريم عن جملة من الآيات، التي أظهرت أسمى الغايات، وأعلى الفوائد، وأتمن الثمرات، الأخروية الآجلة، من جراء تطبيق المنهج الوقائي في حياة المسلم .

وإذا كانت الوقاية قد حققت النفع للمسلم في حياته، فذلك يعد من باب عاجل بشرى المؤمن، أما المكسب الحقيقي فهو واقع في الآخرة وصدق سبحانه القائل في سورة القمر : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ۖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْدِرٍ ۖ ﴿٥٥﴾ .

وبالتالي فثمرات المنهج الوقائي، وفوائده، وآثاره، ليست منقضية بانقضاء الدنيا وحسب، وإنما هي ثمرات، وآثار، وفوائد باقية، بل إن الأصل في ذلك والجزاء الحقيقي على تطبيق المنهج الوقائي القرآني؛ يكون عند الانتقال من دار الممر، إلى حيث دار المستقر، وهي الجنة دار السلام . تلك الفوائد، والثمرات، والآثار، الحقيقية الباقية :

١- الثبات على كلمة التوحيد حال الموت، ومفارقة الدنيا على رضا الله سبحانه، قال تبارك وتعالى في سورة إبراهيم : ﴿ يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۖ ﴿٢٧﴾ .

٢- النجاة من عذاب القبر، وهو أول منازل الآخرة، والإفصاح للميت فيه، وبشارته بالجنة، ورؤية مكانه فيها، قال تعالى في سورة النحل : ﴿ الَّذِينَ نُوْقِفُهُمْ أَلْمَلَكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۖ ﴿٣٢﴾ .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

٣- الأمن يوم الفزع للبعث والنشور، حين صعقة الصور لقيام الناس إلى محشرهم، للحساب والجزاء، قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّوْنَهُمْ أَمْلَئِكَةٌ هَذَا يَوْمِكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (١٣).

٤- الاستظلال تحت ظل عرش الرحمن، يوم لا ظل إلا ظله سبحانه، قال تعالى في سورة الفرقان: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ (٢٤).

٥- تخفيف الوقوف عنهم؛ يوم العرض على أرض المحشر، في ذلك اليوم الطويل الثقيل، قال جل في علاه في سورة الإنسان: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُجِبُونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ (٢٧).

٦- الفوز بشفاععة الشافعين، وأول تلك الشفاعات شفاعة محمد ﷺ لعموم الخلق، تتلوها شفاعاته ﷺ لأهل الإيمان، ومن ثم شفاعات من أعطاه الله تعالى ذلك الفضل، قال تعالى في سورة المدثر: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ (٤٨). وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ: "أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي، كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض طيبة طهوراً ومسجداً، فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان، ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر، وأعطيت الشفاعاة"^١.

٧- تنقيح الموازين بالحسنات، ورجحانها على كفة السيئات، قال تعالى في سورة القارة: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾﴾.

^١ متفق عليه . البخاري، (٤٣٨) . مسلم (٥٢١) .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

٨- تيامن أخذ الصحف باليد اليمنى دليل الفوز والفلاح، قال تبارك وتعالى في سورة الإسراء: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ .

٩- تكليم الله تعالى لهم، والنظر إليهم نظرة عفو ورحمة، ومن ثم تركيتهم من الذنوب والآثام، قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ .

١٠- النور المصاحب لهم حال المرور على الصراط، جزاء عملهم الصالح المرضي، قال تعالى في سورة الحديد: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرانُكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ .

١١- النجاة من النار والزحزحة عنها، وكفى به فوزاً عظيماً، وهذا في حد ذاته فوز كبير يسبق دخول الجنة قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ .

١٢- الفوز بالجنة وهو الفوز العظيم، وهو الفوز المبين، وهو الفوز الكبير، لعموم أهل الإيمان، والطاعة، والعمل الصالح، قال تعالى في سورة التوبة: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

١٣- رؤية الله جل جلاله في الجنة، وذلك هو غاية كل مسلم، وأعلى الثمرات، وأعلى المنازل، وما أعطي المؤمن في الجنة بأفضل من ذلك قال تعالى في سورة يونس: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٣٠﴾ . وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ: (أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها) - يعني العصر والفجر - ثم قرأ جرير: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴿١٣٠﴾﴾ [طه]¹.

وفي الحديث الآخر في قوله ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴿١٣٠﴾﴾ [يونس] . قال ﷺ: "إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد: إن لكم عند الله موعداً، قالوا: ألم يبض وجوهنا وينجنا من النار ويدخلنا الجنة؟ قالوا: بلى، فيكشف الحجاب، قال: فوالله ما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه)². ١٤- حلول رضا الله تعالى لعموم عباده الصالحين، الفائزين بجنته ورضوانه إلى أبد الآبدين، في دار لا انقطاع لنعيمها، ولا تنغيص فيه، ولا كدر، قال تعالى في سورة البينة: ﴿جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنِ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾﴾ .

¹ متفق عليه . البخاري، (٥٧٣) . مسلم، (٦٣٣) .

² رواه الترمذي (٢٥٥٢) . ابن ماجه (١٨٧) . وصححه الألباني من حديثيهما . وأحمد (١٨٩٣٥) وغيره .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

١٥- تحقق كونهم من الشفعاء، تكربة ومنحة من الله تعالى لهم، لمن وجبت له النار، قال تعالى في سورة المدثر: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ (٤٨) .

وبهذا كان المنهج الوقائي خير سبيل، ولا سبيل سواه يوصل العبد المؤمن إلى حيث بلوغ منازل الرضا، ودخول الجنة، وحمايته من كل أهوال القيامة، ومفازها .

ففي البدء يختتم حياة المؤمن بخير، ومن ثم ينقله إلى حياة البرزخ، وهو في خير حال أيضاً، حين يرى المؤمن مقعده من الجنة فيقول: (رب أقم الساعة) .

ثم ينقله إلى ساحة العرض، والحساب، والجزاء، حيث الأهوال الجسام فينجيه منها، ثم يقوده إلى حيث المصير والمستقر، والنهاية الأبدية السعيدة، في الجنة دار الرضوان . وهناك يسعدون فيها إلى أبد الآبدين، ويتمتعون بأنواع النعيم، وأكبر متعة فيها وأعلى نعمة هي رؤية رب العالمين جل جلاله وتعالى شأنه .

فكان ذلك المنهج الوقائي القرآني هو السبيل الوحيد، والطريق الأكيد، لنجاة الإنسان من عموم المهالك والأهوال في مراحل عمره الثلاث: وهي دار الممر (الدنيا الفانية)، ودار البرزخ في القبر الفترة الانتقالية، وفي الدار الآخرة حيث المصير النهائي .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

الخاتمة :

الحمد لله الذي بنعمه تتم الصالحات، وصلى الله وسلم وبارك وزاد وأنعم وأتمم على المبعوث رحمة للعالمين، محمد خير البريات، جاء بشريعة سمحة يسيرة غراء، أخرج سبحانه بها الخلائق من غياهب الظلمات إلى شمس النور، بآيات بينات . ثم أما بعد :

فقد تبين أن المنهج الوقائي يمثل بصفة عامة أس أساس الشريعة الإسلامية، وعمقها الروحي الذي جاءت من أجله، وأن ذلك المنهج كما ضمن حفظ كل الضروريات، وسلامتها في الحياة الدنيا، فقد ضمن الفوز، والوصول إلى رضوان رب العالمين، والظفر بجنته سبحانه يوم الدين .

وهذا يعني أن الوقاية هي روح هذا التشريع السامي، في سماء الحياة الدنيا، والقائد إلى حيث منازل السعادة والرضا في الآخرة .

هذه الوقاية التي كانت كالسياج للمسلم في حياته، يعرف بها كيف يعبد ربه سبحانه وتعالى على بصيرة من أمره؛ هي التي قادته إلى حيث الأبد السعيد .

وهذا بالفعل غاية مراد ربنا تبارك وتعالى القائل في أكثر من آية من كتابه

الحكم العزيز : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ . محبة صادقة عصمتهم عن اقتراف المعاصي وارتكاب الذنوب والوقوع في الآثام، هذا في الدنيا .

وتحقيقاً لقوله جل شأنه في محكم التنزيل : ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ

رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ

وَلِنِعْمِ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ . بالفعل نعم دار المتقين، وهذا في الآخرة .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

وإجمالاً ! أراد ربنا سبحانه وبحمده أن نحقق دلائل قوله جل في علاه في الذكر

الحكيم من سورة الفتح : ﴿ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ

وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا

﴿ ٣٦ ﴾ . وكلمة التقوى هنا؛ هي قول : (لا إله إلا الله) الواقية من الشرك، وهي

كلمة التوحيد الداعية للإخلاص في العمل، والتي وجب القيام بها والالتزام بحقوقها،
وبما تقتضيه من أمور .

كلمة التوحيد؛ هي السبب الأول للتقوى، متى عمل المسلم بمقتضاها على
الوجه الصحيح . وبهذا يكون مضمون كلمة (لا إله إلا الله محمداً رسول الله) إنما
جاء ليحقق التقوى في حياة المسلم، ولتقيم الخلق على منهج ومراد الحق، جملة
وتفصيلاً .

والمحصلة النهائية هي أن الدين قد جاء بالوقاية الكاملة، بكل معاني الكلمة،
ولا وقاية إلا بإقامة شريعته الغراء، التي تقي الإنسان من كل شر، وفساد، وضرر،
وسوء، في دنياه .

وكان القرآن الكريم هو المنهج الوقائي السماوي، والمصدر الرباني، الذي جسّد
ذلك وأظهره، وبَيَّنَّه، ووضَّحه، وأوضحه .

وكما بدأ أول القول بالحمد أختمه به فالحمد لله رب العالمين، وسبحان ربنا
وبحمده .

الخبر العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المصادر والمراجع

أولاً- كتب التفسير :

- ١- ابن عطية . عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت : ٥٤٢هـ) . المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . المحقق : عبد السلام عبد الشافي محمد . الناشر : دار الكتب العلمية، بيروت . ط ١، ١٤٢٢هـ . عدد الأجزاء : ٥ .
- ٢- ابن القيم الجوزية . محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت : ٧٥١هـ) . التفسير القيم للإمام ابن القيم . المحقق : مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان . الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت . ط ١، ١٤١٠هـ .
- ٣- ابن كثير . إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (ت : ٧٧٤هـ) . تفسير القرآن العظيم . المحقق : محمد حسين شمس الدين . الناشر : دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت . ط ١، ١٤١٩هـ . عدد الأجزاء : ٨ .
- ٤- أبو بكر الجزائري . جابر بن موسى بن عبد القادر . أيسر التفاسير . الناشر : مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط ٥، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م . عدد الأجزاء : ٥ .
- ٥- أبو السعود . العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت : ٩٨٢هـ) . إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم . الناشر : دار إحياء التراث العربي، بيروت . عدد الأجزاء : ٩ .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

- ٦- السعدي . عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي (ت : ١٣٧٦هـ) .
تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان . المحقق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق .
الناشر : مؤسسة الرسالة . ط ١ ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م .
- ٧- الشرييني . محمد بن أحمد الخطيب الشافعي (ت : ٩٧٧هـ) . السراج المنير في
الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير . الناشر : مطبعة بولاق
الأميرية، القاهرة . نشر ١٢٨٥هـ . عدد الأجزاء : ٤ .
- ٨- الشعراوي . محمد متولي (ت : ١٤١٨هـ) . تفسير . الناشر : مطابع أخبار
اليوم . عدد الأجزاء : ٢٠ .
- ٩- الطاهر ابن عاشور . محمد الطاهر بن محمد بن محمد التونسي (ت :
١٣٩٣هـ) . التحرير والتنوير . الناشر : الدار التونسية للنشر، تونس . نشر :
١٩٨٤هـ . عدد الأجزاء : ٣٠ .
- ١٠- الفيروز أبادي . مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت : ٨١٧هـ) .
بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز . المحقق : محمد علي النجار . الناشر :
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة . عدد
الأجزاء : ٦ .
- ١١- القاسمي . محمد جمال الدين بن محمد سعيد (ت : ١٣٣٢هـ) . محاسن
التأويل . المحقق : محمد باسل عيون السود . الناشر : دار الكتب العلمية، بيروت
ط ١ ، ١٤١٨هـ . عدد الأجزاء : ٩ .
- ١٣- المراغي . أحمد بن مصطفى (ت : ١٣٧١هـ) . تفسير . الناشر : شركة
مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، بمصر . ط ١ ، ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م . عدد
الأجزاء : ٣٠ .

الخبر العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

ثانياً- كتب علوم القرآن الكريم :

١٤- الأبياري . إبراهيم بن إسماعيل (ت : ١٤١٤هـ) . الموسوعة القرآنية . الناشر : مؤسسة سجل العرب . ط ١٤٠٥هـ .

١٥- الزركشي . محمد بن بهادر بن عبدالله (ت : ٧٩٤هـ) . البرهان في علوم القرآن . قدم عليه وعلق عليه وخرج أحاديثه : مصطفى عبدالقادر عطا . الناشر : دار الكتب العلمية، بيروت . ط ١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م . عدد الأجزاء : ٤ .

ثالثاً- كتب العقيدة :

١٦- ابن تيمية . أحمد عبدالحليم الحراني (ت : ٧٢٨هـ) . النبوات . دراسة وتحقيق : محمد عبدالرحمن عوض . الناشر : دار الكتاب العربي، بيروت . ط ١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

رابعاً- كتب الحديث الشريف :

١٧- ابن ماجة . محمد بن يزيد القزويني، (ت : ٢٧٣هـ) . سنن ابن ماجة . تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي . الناشر : دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي . عدد الأجزاء : ٢ .

١٨- أبو داود . سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد السجستاني (ت : ٢٧٥هـ) . سنن أبي داود . المحقق : محمد محيي الدين عبد الحميد . الناشر : المكتبة العصرية، بيروت . عدد الأجزاء : ٤ .

١٩- أحمد . بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت : ٢٤١هـ) . المحقق : شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون . إشراف : د عبد الله بن عبد المحسن التركي . الناشر : مؤسسة الرسالة . ط ١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م .

الخير العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

- ٢٠- الألباني . محمد ناصر الدين (ت : ١٤٢٠هـ) . صحيح وضعيف سنن أبي داود .
- ٢١- الألباني . محمد ناصر الدين (ت : ١٤٢٠هـ) . صحيح وضعيف سنن الترمذي .
- ٢٢- الألباني . محمد ناصر الدين (ت : ١٤٢٠هـ) . صحيح وضعيف سنن ابن ماجة .
- ٢٣- الألباني . محمد ناصر الدين (ت : ١٤٢٠هـ) . سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها . الناشر : مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض . ط١، عدد الأجزاء : ٦ .
- ٢٤- البخاري . محمد بن إسماعيل الجعفي (ت : ٢٥٤هـ) . صحيح البخاري . الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه . المحقق : محمد زهير الناصر . الناشر : دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ . الأجزاء : ٩ .
- ٢٥- البخاري . محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت : ٢٥٤هـ) . الأدب المفرد بالتعليقات . حققه وقابله على أصوله : سمير بن أمين الزهيري . من تخریجات وتعليقات الألباني . الناشر : مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض . ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م .
- ٢٦- الترمذي . محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاک، (ت : ٢٧٩هـ) . سنن الترمذي . تحقيق وتعليق : أحمد محمد شاكر (ج٢، ١) . ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج٣) . وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج٤، ٥) . الناشر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر . ط٢، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م . عدد الأجزاء : ٥ .

الخبر العظيم للمنهج الوقائي في القرآن الكريم

- ٢٧- مسلم . بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت : ٢٦١هـ) .
المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ . المحقق : محمد
فؤاد عبد الباقي . الناشر : دار إحياء التراث العربي، بيروت . عدد الأجزاء : ٥ .
- ٢٨- النسائي . أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (ت : ٣٠٣هـ) . المجتبى من
السنن (السنن الصغرى) . تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة . الناشر : مكتب
المطبوعات الإسلامية، حلب . ط ٢، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م . عدد الأجزاء : ٨ .
- ٢٩- النسائي . أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (ت : ٣٠٣هـ) . السنن
الكبرى . تحقيق : حسن عبد المنعم شلي . الناشر : مؤسسة الرسالة، بيروت .
ط ١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م . عدد الأجزاء : ١٠ .

خامساً- كتب اللغة العربية :

- ٣٠- ابن دريد . أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت : ٣٢١هـ) .
جمهرة اللغة . المحقق : رمزي منير بعلبكي . الناشر : دار العلم للملايين، بيروت .
ط ١، ١٩٨٧م . عدد الأجزاء : ٣ .
- ٣١- الجرجاني . علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت : ٨١٦هـ) .
التعريفات . المحقق : ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر . الناشر :
دار الكتب العلمية، بيروت . ط ١، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- ٣٢- مجمع اللغة العربية . المعجم الوسيط . (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات /
حامد عبد القادر / محمد النجار) . الناشر : دار الدعوة . القاهرة .

الخير العظيم لمنهج الوقائي في القرآن الكريم

فهرس الموضوعات

٤.....	مقدمة
٧.....	تمهيد
١٣.....	الفصل الأول : أساسا المنهج الوقائي وخصائصه وأهميته
١٤.....	المبحث الأول : أساسا المنهج الوقائي
٢٤.....	المبحث الثاني : خصائص المنهج الوقائي
٤٥.....	المبحث الثالث : أهمية المنهج الوقائي في القرآن الكريم
٦٩.....	الفصل الثاني : مجالات المنهج الوقائي في القرآن الكريم
٧٠.....	المبحث الأول : حفظ العقل
٧٣.....	المطلب الأول : مظاهر حفظ العقل
٧٨.....	المطلب الثاني : مقاصد حفظ العقل
٨٢.....	المبحث الثاني : حفظ الدين
٨٥.....	المطلب الأول : العقائد
٩٥.....	المطلب الثاني : التشريع
١٠٦.....	المطلب الثالث : الأخلاق
١١٠.....	المبحث الثالث : حفظ النفس
١١٣.....	المطلب الأول : الجانب الجسدي (المادي)
١١٨.....	المطلب الثاني : الجانب الروحي (المعنوي)
١٢٤.....	المبحث الرابع : حفظ العرض
١٢٧.....	المطلب الأول : جانب المأمورات والمباحات
١٣٤.....	المطلب الثاني : جانب المنهيات والعقوبات
١٣٧.....	المبحث الخامس : حفظ المال

الخير العظيم لمنهج الوقائي في القرآن الكريم

المطلب الأول : كيفية جمعه وكسبه	١٤٠
المطلب الثاني : كيفية إنفاقه	١٤٢
المطلب الثالث : التحذير من الإفتتان به	١٤٦
المطلب الرابع : التعاملات المالية بين الناس	١٤٨
الفصل الثالث : أساليب المنهج الوقائي القرآن الكريم	١٥٣
المبحث الأول : الدلالة اللفظية	١٥٤
المطلب الأول : الأمر والنهي الصريحان	١٥٨
المطلب الثاني : ما يدل على معنى الأمر والنهي	١٦٧
المبحث الثاني : الأساليب الوعظية	١٨٠
المطلب الأول : القصص القرآني	١٨٣
المطلب الثاني : ضرب المثل	١٩١
المطلب الثالث : الاعتبار بالسنن الكونية	١٩٦
المطلب الرابع : الذكر بالضد (المؤمنين، والكافرين)	٢٠١
الفصل الرابع : فوائد وثمرات المنهج الوقائي في القرآن الكريم	٢٠٦
المبحث الأول : الفوائد والثمرات الدنيوية العاجلة	٢٠٧
المبحث الثاني : الفوائد والثمرات الأخروية الآجلة	٢١١
الخاتمة	٢١٦
المصادر والمراجع	٢١٨
فهرس الموضوعات	٢٢٣